دراسات | معتقدات

خزعل الماجدي

الآلهة الكنعانية



أزمنة

رقم التصنيف : ٣٩٨٫٢
المؤلف ومن هو في حكمه : خزعل الماجدي
عنوان المصنف : الآلهة الكنعانية
الموضوع الرئيسي : ١ـ العلوم الاجتماعية
٢ـ الأساطير
رقم الايداع : ١٩٩٩/٦/١٠٧١
بيانات النشر : عمان: دار أزمنة .
*ـ تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل المكتبة الوطنية

ISBN 9957-09-031-3 (ردمك)

رقم الإجازة المتسلسل : ١٩٩٩/٦/٧١٥

- الآلهة الكنعانية : خزعل الماجدي
- الطبعة الأولى : ١٩٩٩



أزمنة للنشر والتوزيع
تلفاكس : ٥٥٢٢٥٤٤
ص.ب : ٩٥٠٢٥٢
عمّان ١١١٩٥ الأردن
شارع وادي صقرة، عمارة الدوحة، ط ٤

صورة الغلاف: مشاهد أسطورية كنعانية منحوتة على طاسة ذهبية وجدت في أوغاريت (رأس شمرا) **تصميم الغلاف** : أزمنة (الياس فركوح) **الصف الضوئي** : أزمنة (نسرين العجو، إحسان الناطور) **فرز وسحب الأفلام**: الشروق **الطباعة**: شركة الشرق الأوسط للطباعة **تاريخ الصدور** : تموز ١٩٩٩


دراسات

معتقدات

خزعل الماجدي

الآلهة الكنعانية

أزمنة

الإهــــداء

إلى صديقي الشاعر

طاهر رياض

رمز محبةٍ ووفاء

مقدمة

يضعنا الإرث الكنعاني القديم في منطقة نادرة وعجيبة، فهو بالقدر الذي يصهر فيه تراث العالم القديم الذي حوله ، فإنه ينبض قوةً وحيويةً لينتج لنا لوناً فريداً من التراث الروحي الذي غزا اليونان في بواكيرها الدينية وشكّل منظومتها الإلهية ، ثم غزا الغرب كله في أول نهضة روحية توحيدية له عبر المسيحية. وآلهة كنعان هي جوهر هذا الإرث الروحي والمحور الذي دارت حوله الأساطير والعقائد والطقوس . ولكنّ هذه الآلهة مبتلاة بتشويش الحفريات القاسي من جهة وتشويش الباحثين والكتّاب من جهة أخرى . فكل من يحاول طرق أبواب هذه الآلهة فلا شك أنه سيفزع من مشهدها المتقافز والصاخب والملتبس .. ولذلك فإنه سيضطر دائماً إلى غلق الباب ليدعها مرتاحة نائمةً من جهة، ولينعم هو بالهدوء وتجنب اللغط والخلط من جهةٍ أخرى . .

ولذلك وجدنا أن مهامنا الأساسية تنظيم نسق هذه الآلهة وتسلسلها المنطقي ووضعها في أماكنها الحقيقية ، وكان هذا يعني بالضبط وضع شجرة أنساب للآلهة الكنعانية، لكي نطرد، أولاً، الفوضى المنتشرة في مجال تداخل الأسماء والصفات وحلول الأجيال مكان بعضها. وقد فعلنا هذا قدر المستطاع ، من خلال تنظيم شجرة شاملة تقريباً للآلهة الكنعانية . ثم بدأنا من أعماق جذور هذه الشجرة بتناول الآلهة واحداً بعد الآخر ، وشرح كل ما يتعلق بها من رموزٍ وأساطير

وأسماء وصفات. وتوقفنا طويلاً أمام أصل آلآلهة الكنعانية الذي حيّر العلماء والباحثين ولم يعثروا ، على الإطلاق ، على ما يضيء لهم الطريق في معرفة طبيعة الآلهة التي كانت قبل ظهور كبير الآلهة (إيل) . وقد نبذنا ما فعله المؤرخون السوريون القدامى مثل سانخينتون وفيلون الجبيلي وأوزيب الذين زادوا صور الآلهة القديمة عماءً بل واستبدلوها بآلهة يونانية ومحلية لا تمت إلى الحقيقة بشيء وأزيلت عن عمد تلك الأصول .. وكأن سراً خفياً كان وراء ذلك، أو كأن مع أسماء تلك الآلهة مفاتيح أسرار دينية كبيرة بالنسبة للعالم القديم وما أتى بعده .. وهذه هي الحقيقة .

وكان أن اهتدينا إلى وضع نظرية جديدة حول هذه الأصول سرعان ما كشفت لنا أسماء هذه الآلهة القديمة (التي دفنت تحت طبقات من أسماء وضعت خارج الذاكرة الثقافية والروحية الحقيقية) .. وقد كان السؤال عن طبيعة هذه الآلهة أكبر معضلة صادفها علماء الديانات الكنعانية والأمورية والآرامية .

إننا نعتبر كشفنا عن سلالة الآلهة القديمة في الشجرة الكنعانية عملاً استثنائياً ستظهر نتائجه بعد نشر هذا الكتاب ، وإننا إذ نضع ماتوصلنا إليه هنا أمانةً في عنق التاريخ فإننا ننتظر بفارغ الصبر ذلك اليوم الذي ستكشف عنه الآثار في هذ المجال، ويحدونا أمل واثق أن النتائج ستكون مطابقة تماماً لما توصلنا إليه .. وإلى أن يأتي ذلك اليوم نطرح نظريتنا هذه أمام علماء الأديان والمثولوجيات الشامية القديمة ونحنُ على ثقةٍ من مصداقيتها .

لقد بذلنا ما استطعناه لإضاءة شبكة الآلهة الكنعانية (بعد أيل) وكشف مداليلها ومعنى سياقها الذي وجدت فيه ، وبذلك يصبح الطريق

ميسراً من أجل فهم الديانات الشامية كلها وفهم تسلسلها وأخذها عن بعضها .

ولا شك أننا سنكون بحاجةٍ ماسة إلى أشجار آلهة صغيرة (إبلائية، أمورية ، آرامية ، نبطية ، هيلنستية) هضمتها الشجرة الكبرى التي وضعناها ، لنتبين الخصوصيات الدقيقة للمدن والممالك الشامية القديمة.. وهو مانسعى إليه في كتبنا القادمة .

لقد حاولنا ، في هذا الكتاب ، توخي الدقة وعدم الخلط بين الآلهة ووجدنا أن الدراسة المتأنية العميقة هي البديل الوحيد لفهم الآلهة الكنعانية ومظاهرها ، ووجدنا أن هذا يمكن أن يتوفر بعد فهم الأديان الرافدينية بشكل خاص ثم الحيثية والحورية والكريتية ثم المصرية واليونانية ... ويجب أن يستند هذا الفهم إلى قاعدة رصينة لتحليل الظاهرة الهيلنستية في الثقافة أو الأديان لندخل بذلك إلى آخر عتبةٍ عظيمة لأديان الشام القديمة ، ونعني بها (الديانة المسيحية) .

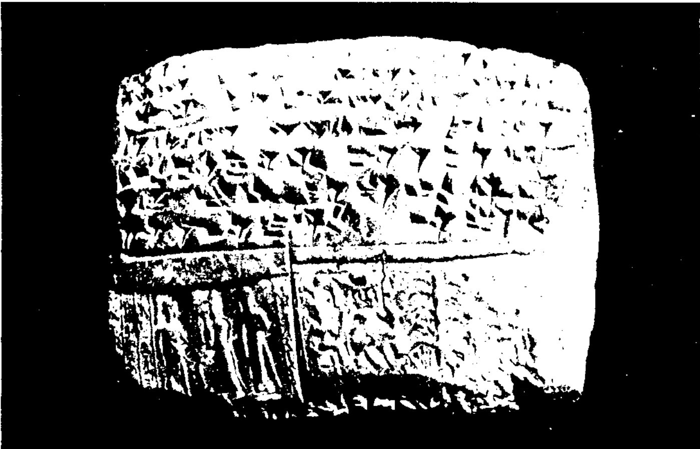
نتمنى أن نكون قد وفقنا إلى تقديم ما يفيد الباحثين والقراء في هذا المجال ... ونشكر سلفاً كل جهد أعاننا على تأليف هذ الكتا ب.

خزعل الماجدي

١٩٩٩/١/١

الفصل الأول

شجرة أنساب الآلهة الكنعانية



لوح طيني من سوريا يحتوي على نقوش كتابية وصور أشجار وحيوانات وأشخاص

يعتقد الكثيرون أن تسمية (كنعان) و(كنعانيون) وردت في التوراة فقط ، وكرسها اليهود للدلالة على أرض فلسطين وشعبها ، ثم أصبحت تشير إلى الأقوام التي سكنت أرض الشام قبل ظهور العبريين والآراميين . وهذا الإعتقاد خاطيءٌ تماماً لأن تسمية كنعان ظهرت قبل ذلك بكثير وفي المدونات الآثارية للمنطقة .

وكان اسم بلاد كنعان يعتبر سامياً بمعنى الأرض المنخفضة ، لأن فعل كنع Kana في اللغات السامية يعني انخفض أو تواضع وهو ما نراه بالعربية بمعنى (خنع) . وكانت تأويلات العلماء سابقاً تفيد بأن هذه التسمية تطابق أرض فلسطين المنخفضة قياساً إلى جبال لبنان المرتفعة . أما النظرية الأحدث فقد رأت أن أصل هذ الكلمة هو «حوري الأصل Knaggi بمعنى الصباغ الأرجواني ، وهذا أعطى الصيغة الأكدية في نوزي كناخني Kinakhni ، وفي مسمارية رسائل تل العمارنة كيناخّي Kinakhkhi ، وبالفينيقية كنع Kena والعبرية كنعان أي بلاد الأرجوان» (حتّي ١٩٥٨ : ٨٥)

وهذا يعني أن الكلمة ذات أصل حوري ولها اشتقاقات أكدية ، ومصرية (بصيغة بي – كنعان Pekanan) للدلالة على المناطق الجنوبية الغربية من سورية ، كما نجد تسمية كنعان في بعض النصوص السورية

من الألف الثاني قبل الميلاد ، مثل نص إدريمي ملك ألالاخ ، وهي المملكة التي ازدهرت خلال النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد في الشمال الغربي من سوريا (قرب انطاكية) (انظر السوّاح ١٩٩٥ : ١٩) وقد وجد سبتينو موسكاتي عيباً في هذ المصطلح لأنه لا يشير إلى وحدة لغوية حقيقية ، فقد أطلق على عنصر لغوي سوري - فلسطيني لا ينتمي إلى الآرامية ، واقترح الأخذ بمصطلح (سوريا) بدلاً عنه ورأى إنه لا بد من تناول (السوريين) بمدلولهم الواسع من حيث هم وحدة لا سبيل إلى إنكارها بين الشعوب الكبيرة التي تحفّ بهم من كلا الجانبين ، ولذلك ، يستنتج موسكاتي ، بأنه لا معنى للتمييز بين عنصر واحد ، أي الآراميين ، وبقية العناصر مجتمعة ، أي الكنعانيين (انظر موسكاتي ب.ت: ١١٤ - ١١٥)

وحين جاء اليونان ترجموا معنى اسم كنعان (أي الارجوان) واطلقوا على أرض وشعب كنعان اسم فينيق (Phoinix) أي اللون الأحمر الأرجواني ، وهي الصبغة التي كان يصنعها بتميز هذا الشعب طيلة تاريخه القديم .

ومهما كان الأمر فإننا لا نرى بديلاً أفضل من كنعان يطلق على أرض وشعب الشام القديم ، لأن لها أصلاً تاريخياً أركيولوجياً ، ولأن اسم (سوريا) مثلاً اسمٌ حديث ظهر في العصر الهيلنستي ، وأصبح يدلّ على مكان محدد . ورغم إيماننا العميق بأن أرض الشام تتمتع بوحدة ثقافية ودينية واضحة . . الاّ أن ذلك لا يمنع من ظهور عدة تسميات تشير لها على امتداد التاريخ ، بحسب الثقافة المتميزة التي تظهر فيها .

ونرى أن الحقب الثقافية لأرض الشام متتابعة تتمثل في (الأموريين ، الكنعانيين ، الآراميين) ثم مجيء الثقافات الأجنبية

(الفارسية واليونانية والرومانية) التي تفاعلت بايجابية مع الثقافات الأصيلة التي سبقتها .

ورغم استحالة الفصل بين الأديان الآمورية والكنعانية والآرامية ، ورغم أن جذور الالهة الكنعانية تغطس عميقاً في التربة الآمورية وأن ثمارها تتساقط على الأرض الآرامية ، إلاّ إننا في كتابنا هذا آثرنا التركيز على الالهة الكنعانية ، رغم قدوم بعضها من الماضي الأموري واندماجها لاحقاً بالآلهة الآرامية .

كان اختلاط الآلهة الكنعانية بالأمورية والآرامية أمراً محيراً ومثيراً للجدل ، وكان تداخل وظائف الآلهة الكنعانية ، وظهور آلهة المدن وتحجيم غيرها ، كل هذه العوامل ، كانت تشكل عقبةً كبيرة أمام وضع شجرة أنساب الآلهة الكنعانية بطريقة دقيقة ومتساوقة .

وتعود أولى المحاولات لجمع الآلهة الكنعانية إلى أوغاريت (رأس الشمرا) حيث عثر على ما يسمى بـ (اللوائح الإسمية للآلهة الأوغاريتية) التي وضعت باللغتين الأوغاريتية والأكدية وتحمل أسماء حوالي ثلاثين إلهاً بعضها متكررٌ وبعضها غير معروف (**انظر شيفمان ١٩٨٨ : ٧٥ - ٧٦**)

أما الإشارة الثانية إلى مجمع الآلهة الكنعانية فتعود إلى عهد السلالتين الثانية عشرة والثالثة عشرة المصريتين من خلال نصوص اللغات المصرية وتكشف لنا أسماء العلم المركبة من أسماء إلهية والمأخوذة من هذه النصوص عن الأسماء والإلهية التالية : إيل ، حدد ، عم ، عناة ، حورون ، شمش ، شهر ، رفه (**انظر دوسّو ١٩٩٦ : ٣٤**) وينفرد فيلون الجبيلي بتنظيم شجرة أنساب إلهية كنعانية ولكنها تستعمل أسماء المقابلات الإلهية اليونانية ، مما يوحي بأن فيلون قد استعمل تسلسل الأنساب اليوناني أيضاً ، وهذا بحد ذاته يجعل شجرة الأنساب هذه غير

نافعة وغير دقيقة لوصف الآلهة الكنعانية ، إضافة إلى العيب الخطير فيها وهو غياب مكان الإله بعل وهو الإله القومي الكنعاني الذي من المفروض أن يحتل قلب شجرة الآلهة الكنعانية .

ومن أجل معرفةٍ دقيقة للآلهة الكنعانية كان لا بد من وضع شجرةِ أنسابٍ تتوخى الدقة ، قدر الإمكان ، وتتحاشى مشكلات الخلط والتعميم التي تضعنا فيها المراجع أو الآثار نفسها ولذلك قمنا بهذه المحاولة فانتظمت أمامنا أجيال من الآلهة مع أبناء وأخوة وزوجات هذه الآلهة ، فألقى نظام هذه الشجرة الضوء على الكثير من مشكلات الأنساب والوظائف الخاصة بالآلهة .

وإننا هنا ، إذ نضع هذه الشجرة أمام القارىء ، فلا نعتقد أبداً بأنها متكاملة ، أو أنها ضمّت جميع الآلهة الكنعانية أو أنها تخلو من الهنات ، لكننا حاولنا تضييق هذه الفجوات جهد الإمكان وحاولنا تقديم شجرة أنساب واسعة وكبيرة ضمت أغلب ما هو معروف من الآلهة الكنعانية وبتسلسل يقترب كثيراً من الدقة والحقيقة . وكان لا بد ، والحالة هذه ، من إهمال الكثير من الأنساب المتضاربة والتأكيد على قناعتنا ومراجعنا العلمية .

تتكون شجرة الآلهة الكنعانية من مجاميع على شكل أجيال متسلسلةٍ نسباً ، سنبدأ باستعراضها العام مبتدئين بالآلهة الأقدم :

١- **الآلهة القديمة** : و هي الآلهة الأولى التي يفترض أن تكون آلهة الهيولى القديمة التي ظهر منها الكون وآلهة الخلق لاحقاً . ولم نجد في أي مرجع أو مصدر ذكراً لهذه الآلهة ، ولذلك قمنا باستنتاج هويتها واسمائها من خلال قراءة خاصة . وتتكون هذ الآلهة من ستة الهة هي يمّو (يم) إلهة/ إله المياه الأولى الهيولية ، و(شمتم) المحيطان

السماوي والأرضي ، والإله شم (محيط السماء) الذي ظهر منه إله السماء (شاميم) والإلهة (إديم) أو (أدمة) أو (أرسو) إلهة الأرض .

٢ - **جيل الإله إيل** : حيث تلد السماء والأرض (شاميم وأدمة) الإله الخالق إيل ومعه ثلاثة أخوة ذكور هم (بيتيل ، داجون ، أطلس) وثلاث أخوات إناث (عشيرة ، عشتارة ، رحيا) ويشكل إيل لاحقاً الإله الأب وعشيرة الإلهة الأم . رغم أن إيل يتصل بإناث هذ الجيل كلهن ومعهن حورية اسمها أنوبرت يظهر منهما سلالة من الآلهة .

٣ - **جيل الإله بعل** : ويمثل الإله بعل الإبن الوارث لإيل ، حيث ينجب الإله الأب (إيل) والإلهة الأم (عشيرة) جيلاً كاملاً من الآلهة هم بعل واخوته ، ويعكس الذكور منهم صفات الإله بعل رغم أن لكل واحد منهم شخصية مستقلة وهم (أدون ، حرون ، إشمون شدرافا ، شاليم ، شهار) ويتزوج الإله بعل أخته (عناة) التي لها وجهان هما الحب والحرب . وهناك أخوات عناة اللائي يعكسن صفات عناة مثل (عستارت ، إيلات ، قادش ، فرسفونه ، أثينا ، سديد) .

٤ - **أبناء وأشكال بعل** : وهم عددٌ هائل من البعول الذكور والبعلات الإناث وكلهم يعكسون وظائف بعل الذي أصبح هو المسيطر على فعاليات الأرض بل والكون بعد أن تعالى إيل وأصبح شيخاً منعزلاً . ورغم أن بعض الأساطير أو الأخبار الواردة في الكتب الهيلنستية والرومانية والمسيحية تعطي أنساباً أخرى لبعض أبناء بعل لكننا وجدنا الكثير من عدم الدقة فيها . ولذلك وضعنا ست صيغ لا تشكل بالضرورة علاقة أبوة وبنوة بين بعل والآلهة الذين معه وهي :

أ . الآلهة الذكور الذين نرى أن أغلبهم كانوا أبناء لبعل من عناة

ولكننا نرى ، في الوقت نفسه ، أن بعضهم أُقحم لاحقاً مثل الإله يم وآلهة الكواكب .

ب . الإلهات الإناث واللائي يحملن نفس الملاحظة السابقة .

جـ . أشكال بعل المتمثلة في بعول المدن الذين ربما كانوا البعل نفسه وهو يحلّ في هذه المدن وليسوا أبناءً له .

د . أشكال بعل المتمثلة في الطبيعة والصفات والذين كانوا يمثلون الظواهر الطبيعية أو بعض صفات الإله بعل وليسوا أبناءً له .

هـ . الإله بعل حدد ، الذي هو البعل ذاته في صيغته الآرامية بشكل خاص . والذي اتخذ له زوجة اخرى هي (أترغاتس) وشكلا مع إبنه سميون ثالوثاً تطور شيئاً فشيئاً حتى صار ثالوثاً كوكبياً يمثل الشمس والقمر وعطارد .

و . صور البعل أو بعل حداد (كإله للعاصفة والهواء والبرق والرعد) أي كإله طقس بشكل عام والذي تمثل في عدة بقاع من الشام بعدة صور هي (رمّان ، ميكال ، يهوا ، ملكوم ، كموش ، قدس ، هبل) ، وهي صور تعبر عن الخصوصية المحلية للأقوام الكنعانية الآرامية داخل أرض الشام ، والتي ظهرت بعد العصر الحديدي بشكل خاص أي تقريباً بعد ١٢٠٠ ق .م .

وفي تقسيمنا هذا للبعول حاولنا ، ما استطعنا ، أن نكون دقيقين في حصر مجاميع البعول في أُطر متمايزة . فقد كان ظهور بعل وانتصاره وتحوّله إلى إله قومي كنعاني ، وانحسار الإله إيل شيئاً فشيئاً وعزله مدعاة لتحويل كل الآلهة ومظاهر الحياة إلى شكل من أشكال البعل ونشاطاته . وتضج المراجع العربية والأجنبية بعمليات الخلط والإبدال والإحلال ، وخصوصاً فيما يخص البعل ولذلك نرى محاولتنا هذه في تصنيف

البعول أقرب إلى الصواب لكننا لا نعمم ذلك بصورة مطلقة .

تحتوي شجرة الأنساب التي وضعناها حوالي (٩٠) إله أساسي في الديانة الكنعانية ، وربما احتاجت إلى آلهة أخرى ولكنها لن تخرج عن السياق العام الذي وضعت فيه مراتب وأجيال هذ الآلهة .

وسنلاحظ أن ثلاث مراحل كبرى تنتظم في هذه الشجرة وهي مرحلة الآلهة القديمة ، مرحلة إيل ، مرحلة بعل . وهو ما نلاحظهُ في أغلب شجرات أنساب الآلهة في الشرق الأدنى والعالم القديم بصفةٍ عامة . وتمتاز شجرة أنساب الآلهة الكنعانية بصلة قوية جداً مع شجرتي أنساب الآلهة السومرية والبابلية بشكل خاص . بل انها تمثيل خلاّق بلغةٍ محلّية شامية لهاتين الشجرتين . . ولا بد من الإشارة إلى اختفاء التأثير المصري عليها كلياً ، وظهور التأثير اليوناني ثم الروماني على صيغتها المتأخرة ، رغم إننا نرى أن شجرة الآلهة اليونانية ظهرت من رحم شجرة الآلهة الكنعانية في أوقات مبكرة .

الفصل الثاني

الآلهة القديمة

(قبل الإله إيل)







العاشقان (دمية من عين صخري . العصر النطوفي ٩٠٠٠ ق.م

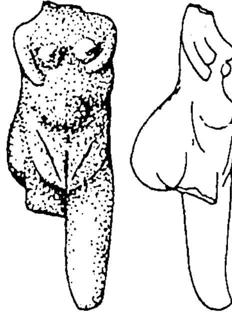
تثير قضية الآلهة الكنعانية القديمة (قبل ظهور الإله إيل) مشكلةً حقيقية في تنظيم بداية شجرة الآلهة الكنعانية ، فنحن لا نملك تصوراً حقيقياً عن هذه الآلهة لعدم وجود ما يسعفنا من المدونات الآثارية القديمة التي توضّح ذلك .

ولكننا ، على المستوى الآثاري ، يمكن أن نتتبع الآلهة الغارقة في القدم والتي أظهرتها الحفريات في عموم مناطق الشام ، دون أن نملك صورة واضحة عن أسمائها وطقوسها وأساطيرها .

أظهرت الثقافة النطوفية في الميزوليت الشامي (حوالي ١٨٫٠٠٠-٨٠٠٠ ق .م) اهتماماً خاصاً بالعبادة المرتبطة بالحيوان والجنس والأنصاب فقد جعلوا من (المقدس) مرتبطاً بشكليه السحري والديني بالحيوان كالأيل والحصان والكلب . . وقد ظهرت الأنصاب الحجرية لتشير إلى هياكل عبادة غامضة في العراء ، وكان هناك اهتمام بالصور الهيولية للجنس واعتباره طاقة مخصبة يشير إلى ذلك التمثال الجنسي لعين صخري والذي يمثّل عملية جماع لشخصين جالسين وجهاً لوجه (انظر دمية العاشقين في بداية هذا الفصل) .

لكن الثورة الأساسية ظهرت مع ظهور النيوليت مبكراً في الشام حوالي (٨٥٠٠-٨٠٠٠) ق . م . ومعه ظهرت الإلهة الأم حيث اعتبرت هذه الإلهة هي المسؤولة عن الإخصاب الكوني بشكل عام والزراعة بشكل خاص ففي تل المريبط السوري على الفرات ظهرت دمى وتماثيل

الإلهة الأم في الشام وهي عارية (شكل ١) .

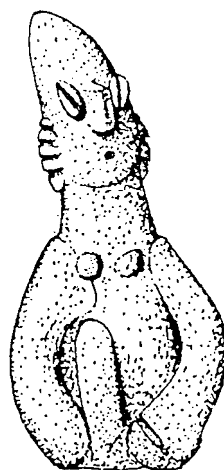


شكل (١)
الإلهة الأم.تل المريبط ٨٠٠٠ ق.م

كما ظهرت عند مطلع الألف الثامن الوضعية التي غدت كلاسيكية فيما بعد وهي وضعية عشتار الممسكة بثدييها العاريين والتي سنجدها خلال الفترات اللاحقة لدى كل ثقافات الشرق القديم تقريباً كرمز لخصب الإلهة الأم . ولقد أعطتنا التنقيبات الأثرية في مواقع الألف الثامن والألف السابع الكثير من هذه التماثيل ، كما هو الأمر في أريحا والمنحطة ووادي فلاح والخيام في فلسطين وفي البيضا وعين غزال في الأردن وتل أسود وتل رمد وتل المريبط في سوريا (انظر السواح ١٩٩٣: ٤٤-٤٥) .

وكتعبير عن احتواء الإلهة الأم على عنصري الذكورة والأنوثة معاً «فكانت تحتوي في صميمها على بذرة السالب والموجب ، اللذين نشأ عن حركتهما الكون المتولد عن الأم الكبرى . وفي تجليها الثاني كأم للطبيعة

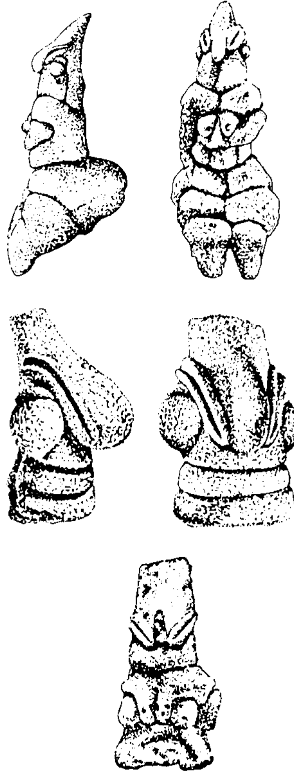
المادية بشتى مظاهرها ، بقيت عشتار تحمل في جوهرها بذرة الذكورة والأنوثة ، لأن كمال الألوهة في جمع الضدين ، وكانت الإلهة الواحدة أنثى كونية ، وكانت في الوقت نفسه تنضوي في داخلها على بذرة الذكورة التي انفصمت فيما بعد» (المرجع السابق :٢٦٧) ويجسّد هذه الصورة الدمية في الشكل (٢) من تل الرمد السوري .



شكل (٢)

الإلهة الأم الخنثى/ تل الرمد ٦٠٠٠ ق.م

ثم تطورت الإلهة الأم إلى مستوى آخر فقد ظهرت (الأم الرهيبة Mere terrible) شكل (٣) التي ظهرت في شخصيتها مظاهر السحر والحيوانية والشيطان والأفعى والذكورة والأنوثة ، وكانت كما لو أنها مرعبة وشاملة وكليّة ذات رأس أفعواني وأنفٍ ضخم وجسدٍ مفصص (انظر الماجدي ١٩٩٧:٨٩-٩٠) .



شكل (٣)

الإلهة الأم الرهيبة / منطقة المنحطة ٥٠٠٠ ق.م

وتشير هذه الأمور إلى أن الآلهة القديمة في بلاد الشام ، على المستوى الآثاري ، كانت منتشرة ومتطورة وفيها ما يؤكد الصورة الهيولية والخصبية في نفس الوقت .

ورغم ظهور الإله الأب والإله الابن ثم ظهور الثالوث الإلهي العائلي ، فإن الآلهة الشامية ظلّت تنحو نحو تجريد رمزي سماوي ، فقد ظهرت في الثقافة الغسولية الأردنية من العصر الكالكوليتي

(٤٥٠٠-٣٢٠٠)ق .م نجمة الغسول الثمانية التي عبّرت عن ظهور الشمس أو النجمة الأم والتي تبدو كما لو أنها تعبير عن مرحلة جديدة بعد الزراعة ، وهي ظهور المدن والكتابة والمعابد وظهور فكرة الإله المجرّد (المرجع السابق:٩٧-٩٩)

إن هذه الإشارات الاركيولوجية القادمة من عصر الميزوليت والنيوليت والكالكوليت في الشام القديم تعطينا فكرة عن ظهور آلهة قديمة لكننا للأسف لا نهتدي إلى أسمائها في تلك العصور لعدم ظهور الكتابة .

يضللنا فيلون الجبيلي عندما يضع الإله الذكر عليون Elyon أو إليون Elioun كإله أول وكزوج للإلهة بارات أو بيروت ، لأن هذه المدينة هي مدينته فكان لا بد من رفعها إلى مستوى الأم الأولى ، أما عليون فهو الإله الذي يذكره العهد القديم ونصوص رأس شمرا وتدوينات أخرى ويجب أن نراه على الأرجح في بعل شمين (بعلشمين Ba'al shamin) في النصوص الأكثر حداثة ، وفي كل الأحوال فهو جوهر قديم جداً يبدو أنه أزيح بواسطة إيل الذي حلّ محله (انظر دوسو ١٩٩٦:٣٦) .

وقد حاولت التوراة أن تضللنا أكثر عندما رأت في يهوا Yahwe (أو إلوهيم Elohim) الإله الأب فقد أوحت بأن عليون كانت ألوهته متأخرة نسبياً في فينيقيا وأنه أخذ من اليهود . ورغم أننا وضعنا في شجرة أنساب الآلهة الكنعانية مقترحنا الجديد إلاّ أننا لم نهمل في دراستنا الآلهة التي وضعها فيلون الجبيلي ، لكننا نثبت هنا اعتراضنا المطلق على الآلهة القديمة (قبل إيل) .

ولكي نساهم مساهمة متواضعة في هذا الموضوع ، الذي أهمل تناقضه العلماء ، فإننا سنحاول تقديم مقترح استنتاجي يمكن أن يكون

بديلاً معقولاً عن ذلك الإرباك الذي وضعه فيلون الجبيلي . ويكمن مفتاح هذا الحل في المثولوجيا الرافدينية والمثولوجيا اليونانية وبمساعدة قوائم أسماء الآلهة الأوغاريتية .

إن الفاحص لجمل أنساب الآلهة الكنعانية سيجد أنها جوهرياً تستند إلى شجرة الآلهة الرافدينية (والبابلية منها بشكل خاص) والتي تضع مكانة هامة للآلهة الهيولية القديمة قبل ظهور الكون (السماء والأرض) التي تشكل عمادها الإلهة الأم تيامت وزوجها أبسو وابنهما ممّو ثم سلسلة الآلهة القديمة التي تظهر منها (لخمو ولخامو) (إنشار وكيشار) ثم ظهور إله السماء (آن) وآلهة الأرض (كي) .

أما الآلهة اليونانية التي نرى أن معظمها هو عبارة عن صياغة يونانية للآلهة الكنعانية من ناحية وظائف الآلهة أو تسلسلها وأحياناً حتى أسمائها ، هذه الآلهة تُظهر قبل إله السماء (أورانوس) وإلهة الأرض (جايا) مجموعة من الآلهة الهيولية أيضاً وهي خاؤوس (الخواء) الذي تظهر منه أريبوس (الظلام) ونوكس (الظلمة) ويظهر من هذا الثالوث ثالوث جديد هو أثير (الضوء) وهميرا (النهار) وايروس (الحب) ومن هذا الثالوث تظهر السماء والأرض .

وهذا يعني ، واستناداً إلى جولتنا في العصور الحجرية في الشام وآلهتها ، أنه لا بد من وجود آلهة قديمة أولية صنعت فيما بعد السماء والأرض . ولكي نجد أسماء هذه الآلهة فإننا يجب أن نأخذ بنظر الإعتبار قدراً معيناً من تسلسل الآلهة البابلية واليونانية وستعيننا قوائم الآلهة التي عثر عليها في أوغاريت والتي تحمل أسماء أكدية (بابلية) وأسماء أوغاريتية .

إن الإلهة تاموتو (تيامت) الواردة باللغة الأكدية يقابلها الإله (يمّو) أو

(يم) في الأوغاريتية ، وهذا يعني أن الإله (يم) الذي نُظر إليه طويلاً على أنه ابن أو أخ الإله بعل هو إله قديم جداً ، وإن الأسطورة الخاصة بصراعه مع الإله بعل وضعته ، بعد أن أسقطته ، في مكان أسفل من لائحة الآلهة الكنعانية . وهذا غير صحيح ولا ينبؤنا عن أصله الحقيقي .

إن الإله (يم) الذي يعبّر عن المياه الهيولية الأولى وعن مياه البحار والمحيطات موجود كإسم في ثنايا اسم (تاموتو) أو (تيامت) ، وهو أيضاً في صيغة (يمّو) يقترب من الإلهة السومرية الأم الأولى (نمّو) . ولذلك أرى أن هذا الإله كان في أصله إلهة أنثى معبرةً عن الإلهة الكنعانية الأم الأولى وربما تدرج في ذلك وأصبح إلهة مزدوجة الجنس ، ثم أصبح إلهاً ذكراً مع تصاعد حمى الانقلاب الذكوري بعد عصر الكالكوليت . أما الآلهة الهيولية اللاحقة التي خرجت منه فلا نستطيع التكهن بها ، لكننا نلمح إشارة مهمة عن وجود العدد المزدوج الذي يدل على المحيطين ثمتم Thmtm وهما المحيطان السماوي والأرض (وهو ما يقابل في المثولوجيا البابلية لخمو ولخامو وكذلك أنشار وكيشار وهما الطمي والأفق المحيطي الأول) .

إن هذا يعني بوضوح أن الإله/الإلهة يموّ (يم) انجبت ثمتم (شمتم) وهو المحيطان السماوي والأرضي المزدوج ، ومن هذا الإله ظهرت السماء والأرض اللذان نرى أنه احتوى على اسميهما وهما (شم) و (تم) أي السماء والأرض وهذا يتطابق مع اسميهما في قوائم أوغاريت (شاميما وأرسو) اللذين يقابلهما في الأكدية (اديم وأديم) ، ولذلك سنعدل اسميهما وفق الاستنتاج إلى (شاميما) و (إديم) (خصوصاً أن إديم يقترب من تم) مستندين على أساس أن إديم هو اسم مرادف لـ (ارسو) على أساس أن الأديم هي الأرض (أرسو) . .

وبذلك نكون قد وصلنا إلى الآلهة الكونية (السماء والأرض) التي أنجبت الإله إيل وجيله ، رغم أن الإله إيل يظهر في بعض النصوص على أنه خالق الخلق (باني بنوات Bny Bnwat) وهذا متأتٍ من جعل الإله إيل سيداً أول لكل الآلهة الكنعانية . ولذلك أزيحت بإصرار وعلى مدى أجيال طويلة تلك الآلهة التي سبقت الإله إيل لأنهم كانوا يرون أنه خلقها ولا بد أن تهمل أو تأتي بعده (كما حصل مع يم) . وحين جاء فيلون الجبيلي ارتكب خطأً أعظم حين جعل من آلهة محلية مثل (بارات وعليون) آلهة خالقة أولى وذكر أسماء مثل أطيختون أو أورانوس أي (السماء) وهي أسماء يونانية ، واسم جي ليشير إلى الأرض ، وهو اسم يوناني أيضاً .

وبذلك نكون قد وفقنا إلى وضع أنساب الآلهة القديمة التي سبقت إيل (وحاذفين بالطبع ما فعله فيلون الجبيلي) وهكذا نرى الفرق الواضح بين ما فعلنا ومارسمه فيلون الجبيلي (فيما يخص الآلهة القديمة) . في هذا المخطط البسيط :

جدول فيلون الجبيلي	مقترحنا
عليون (إله فينيقي) + بارات إلهة بيروت ← ايبجيوس أطختون (أورانوس) إله السماء + جي إلهة الأرض ← إيل . . .	يم (يمّو) إله المياه الهيولية الأولي ← ثمتم (شمتم) المحيط السماوي الأرضي ← شم (محيط السماء) ← شميم (شاميما) إله السماء؛ تم (محيط الأرض) ← إديم (أدمة) إله الأرض ← إيل . . .

ويفتح لنا هذا المقترح المجال واسعاً لتصور آلهة كنعانية أصيلة وحقيقية نابعة من أرض وطبيعة كنعان نفسها تناسب الخلق الأول والتكوين الأول . . ولذلك أزحنا من شجرة الأنساب التي وضعناها للآلهة الكنعانية مخطط فيلون الجبيلي واعتبرناه مقحماً ،إضافة إلى الأخطاء والإرباكات الكبيرة التي حفل بها مخططه لأنساب الآلهة الكنعانية والتي لا مجال للرد عليها في هذا المكان . . وهي واضحة ، على أية حال ، لكل مهتم بهذا الموضوع .

والآن لنناقش طبيعة هذه الآلهة القديمة سواء تلك التي وردت في مقترحنا أو تلك التي وضعها فيلون الجبيلي :

يمّو (يمّ، أم)

نرى أن (يمّو) هي الإلهة الأم الكنعانية الأولى والتي كانت تحتوي على عناصر الذكورة والأنوثة معاً في حالة من الاتحاد الذي لا انفصام فيه ، وهي تشبه إلى حدٍّ كبير الإلهة الأم السومرية الأولى (نمّو) وهي الإلهة الهيولية التي احتوت على عناصر الذكورة والأنوثة في داخلها ، وتشبه الإلهة الأم الأكدية الأولى (تيامت) والتي جاء ذكرها في ملحمة الخليقة البابلية (الأكدية) «اينوما إليش» حيث كانت تيامت تمثل المياه المالحة الأولى (أي مياه البحار) ومعها زوجها أبسو الذي يمثّل المياه العذبة الأولى (أي مياه الأنهار) ومعهما (ممّو) الذي هو بمثابة ابنهما ، والذي يكمّل اقنومهما . ولنلاحظ أن هناك تشابهاً بين (يمّو) و (نمّو) و (ممّو) وربما كان للإله (نهر) في الكنعانية علاقة بالإله (يمّو) في عمليات الخلق الأولى باعتباره يمثّل المياه العذبة بينما يشير (يم) إلى المياه المالحة (البحار) . ولكننا غير متأكدين من ذلك . ولذلك نقول أن عملية الخلق الأولى ابتدأت بتحرك الإلهة (يمّو) ، سواء بفعل الأنوثة والذكورة أو بفعل الملوحة والعذوبة ، ونتج عن هذه الحركة ظهور المحيطين السماوي والأرضي وهما في حالة التحام (شمتم) ، وهذا يشبه إلى حدٍّ كبير ما حصل مع الإلهة (نمّو) التي عندما تحركت فيها عوامل الخلق تكوّن فيها جبل الخلق الأول (آن-كي) الذي يعني السماء والأرض متحدتين .

ومن هذا المحيط المزدوج ارتفع محيط السماء إلى الأعلى وكوّن (شم) وانخفض محيط الأرض إلى الأسفل وكوّن (تم) . ومن محيط السماء ظهر

إله السماء (شاميما) ومن محيط الأرض ظهرت إلهة الأرض (إديم) أو (أدمة) والتي دعيت فيما بعد (أرسو) أي (الأرض) .

ولا نريد أن نسترسل في إمكانية تشكيل أسطورة الخليقة الكنعانية من جديد في هذا المكان ، ولكننا نقول أن أسطورة (بعل ويم) الكنعانية تعطينا دليلاً حاسماً على أن الإله (يم) كان الإله/الإلهة الأولى ، لأننا عندما نعود نقارن بين (بعل) ومردوخ (الذي اسمه بالبابلية بعل أيضاً) فإننا نجد أن أسطورة بعل ويم تشبه إلى حد كبير جزءً من أسطورة الخليقة البابلية الخاص بمردوخ وتيامت . حيث يقوم الإله مردوخ (وهو من جيل الآلهة الجديدة) بمحاربة تيامت ودحرها لإحلال نظام كوني جديد بدلاً من النظام الهيولي القديم . وهو ما يفعله بالضبط بعل مع يم . وإن تتبعنا الدقيق لحركات ونقلات أسطورة بعل ويم يذكرنا تماماً بأسطورة مردوخ وتيامت . وسنقدم في كتابنا (الدين الكنعاني) مقارنة مفصّلة بين الأسطورتين لنصل بعدها إلى أن أسطورتي بعل وعناة وبناء بيت بعل هما بمثابة الثلثين الأخيرين من أسطورة الخليقة الكنعانية التي تشبه أسطورة الخليقة البابلية ، وقد جرى عن عمدٍ حذف الثلث الأول لأنه يتعلّق بخلق الآلهة القديمة والكون ، وربما ستجود لنا أرض كنعان ذات يوم بما يكمل هذه الأسطورة العظيمة التي رغم تشابهها مع أسطورة الخليقة البابلية فإنها تقدّم لنا خصوصية كنعان وأرضها وديانتها وبيئتها .

الآلهة القديمة عند فيلون الجبيلي

رغم أننا دحضنا ما وضعه فيلون الجبيلي من آلهة قديمة في جدول الأنساب البسيط الذي قدّمه إلاّ أننا سنقوم باستعراض هذه الآلهة القديمة كما وردت عنده .

لقد وردت هذه الآلهة أو بعضها عند مؤرخين قدامى آخرين أمثال سانخينتون وأوزيب ، ويبدو أن تشويهاً ما قد عمّ تلك العصور أو نسياناً متعمداً للآلهة الحقيقية ، ولذلك فإن هؤلاء قد تطرقوا ، في ما تبقى من مؤلفاتهم ، إلى الآلهة العتيقة التي سبقت ظهور الإله (إيل) والتي تبدأ المدونات الكنعانية عادةً بها رغم أنها لا تمتّ إلى الحقيقة بصلة :

عليون وبارات

تبدأ الخليقة (حسب فيلون) بالإله (عليون) وهو الإله العالي أو (العليّ) مع زوجته الآلهة (بارات) وتلفظُ أيضاً (بروت) ، وتكون منطقة الخليقة الأولى هي (جبيل) حيث يسكن الإلهان .

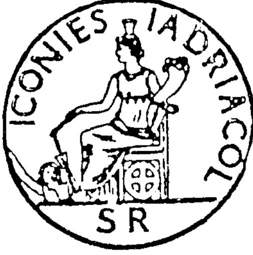
ونلاحظ أن هذين الإلهين لم يخرجا من العماء إلى السكون ، بل كانا موجودين في العُلى كإله ذكر وإلهةٍ أنثى .

وعلينا التفريق بين (عليون) و (علّيان) الذي سيرتبط بالإله البعل ويكون صفةً له أو إبناً . وترد صيغة يونانية لاسمه هي (هيبستوس) . أما الآلهة بارات (بيروت) فإنها لم تكن إلهة قديمة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، بل انها ذكرت كذلك لأنها كانت تطلق على اسم مدينة (بيروت) وتسمى هي أيضاً الآلهة (بيروت) في زمن سانخينتون أو فيلون ولذلك تمّ رفعها إلى هذا المستوى الإلهي البعيد وأصبحت وكأنها إلهة أم .

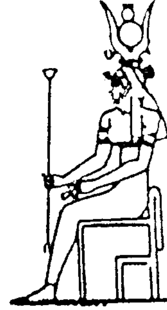
نرى أن الآلهة (بارات) شكلٌ من أشكال عشتار ، الهة الحب والجمال وحامية المدن . وقد حملها الفينيقيون وهم يجوبون البحار عبر مضيق جبل طارق وأطلقوا اسمها على الجزر البريطانية التي ما زالت تحمل ذلك الاسم (باريتانيا) .

وتظهر (بارات) كإلهة مصرية تحملُ صليب الحياة بيد ، وعصا

الملوكية بيد أخرى ، ثم تظهر هذه الآلهة في العصر المسيحي وهي تحمل الصليب أو تحمل قرن الخصب . شكل (٤)







شكل (٤)

الإلهة بارات

١. الصورة المصرية العشتارية للإلهة بارات

٢، ٣. بارات كما تصورها أعمال فنية مصرية وبيدها الصليب والعصا وقرن الخصب وتظهر الكتابة اللاتينية من العصر القبطي المسيحي

وقد يكون لاسم (بارات) علاقة بمفهوم الروح (برت Brit) عند الأوغاريتيين حيث تم تصوير جوهر الحياة بأنه يقوم على أساسين هما النفس (نبش) ، والروح (برت) . (انظر شيفمان ١٩٨٨:٧٥)

وبذلك تكتسب هذه الآلهة صفة الروح من خلال إسمها .

وهناك في متحف اللوفر تمثال لإلهة جالسة تمدّ يديها إلى أمام وتعتمر قبعة طويلة يعتقد أنها عشتار بيروت أي (بارات) .

أطختون وأدمة

أنجب عليون وبارات إلهاً ذكراً هو (أطختون) وهو إله السماء ، وإلهة أنثى هي (أدمة) التي هي إلهة الأرض .

وقد نشب صراع بين الإله عليون والحيوانات البرية قتل فيه عليون فقدم له أبناؤه الذبائح والقرابين تكريماً له . وقام ابنه (أطختون) بتسلّم سلطات أبيه وتزوّج من أخته (أدمة) .

أنجب أطختون وأدمة عدداً من الآلهة الذكور هم (إيل ، بتيل ، داجون ، أطلس) ومن الإناث (عشتارة ، ديونة ، ريّا) .

وكان لاطختون (الذي له اسم يوناني هو أورانوس أي السماء) ، كان له خليلات كثيرات يغيظ بهن زوجته (أدمة) ، وقد أنجب من إحداهن الإله (دماروس) الذي يرى البعض أنه ربما كان (عمورو) إله الآموريين ، وهو الذي أنجب الإله ملقارت (هرقل) .

وقد اشتدت الخلافات بين أطختون وأدمة حتى افترقا ، ثم حاول أطختون أن يقتل أبناءه من أدمة ، ويقتل أدمة نفسها لكن أدمة كانت تحتمي منه بالتعاويذ .

كان فيلون يسمى أطختون وأدمة إسمين يونانيين هما (أورانوس) و (جه) .

وحين كبر أبناؤهما ، وجدت أدمة في الإله (إيل) منقذاً لها ، فتصدّى إيل (كرونوس أي الزمن) لأبيه الذي هرب ، ولجأ إيل إلى الحيلة وطلب مبارزة الأب ليقتله في ساحة مكشوفة إلاّ أن إيل لم يتمكّن من صرع والده إلاّ في السنة الثانية والثلاثين من اعتلائه عرش أبيه ، وعندما تمكّن منه بتر عضوه التناسلي . (انظر ادزارد ١٩٨٧ : ١٦٨)

ويبدو أن هذه النهاية لأطختون لم تكن نهائية ، لأن إيل أنجب من الحورية (أنوبرت) صبياً يدعى (جنود) كان يضحي به للإله (اطختون) أو أورانوس في الأوقات العصيبة .

إن هذا التسلسل الثيوغوني (نشوء الآلهة) للآلهة الكنعانية جاء

على لسان فيلون الجبيلي برواية هيلنستية ، ورغم أن المثولوجيا الكنعانية كانت المصدر الأساس للمثولوجيا اليونانية ، إلاّ أن فيلون أعاد هنا إنتاج المثولوجيا الكنعانية هيلينياً ولذلك أصبح بإمكاننا مقارنة الآلهة القديمة اليونانية مع الآلهة القديمة الكنعانية بيسر ووضوح .

تنحدر الآلهة اليونانية القديمة من آلهة العماء الهيولية وهي (خاؤس) إله العماء والخواء وزوجته (نوكس) إلهة الظلام ، ومن اتحادهما يظهر الكون الأول المكون من (بونتس) إله البحر و (تيرا) إلهة الأرض الأولى . ومن اتحاد هذين يظهر (يورانوس) إله السماء و (جيا) إلهة الأرض .

إن هذا التسلسل الثيوغوني اليوناني يُظهر أن الآلهة اليونانية ظهرت أولاً من العماء والظلام أي من الآلهة الهيولية الأولى ، لكننا نلمح أول ظهور للآلهة الكنعانية من الإلهين الكونيين (عليون وبارات) وهذا يعني غياب الآلهة الهيولية . لكن هذا الأمر ليس حاسماً ، لأن سانخينتون ثم فيلون ينقلان لنا رواية تغلب عليها المسحة الفلسفية عن وجود آلهة خواء وظلام ، حيث يرى سانخينتون أن البداية كانت عندما كان باثوس (الرغبة) وأوميشيل (الظلام) ومن اتحادهما نشأ العقل المحض (إر) و (أورا) اللذان أنجبا بدورهما العقل الأول (أوتوس) .

وفي رواية أخرى كان (إيثر) و (إر) وفي رواية أخرى كانت الريح أول الموجودات الهيولية التي أنجبت (أولموس) و (خوسور) .

لكن فيلون ، نقلاً عن سانخينتون ، يفصّل كيفية ظهور الكون من العماء الأول (على الطريقة الفلسفية اليونانية) فيرى أن الهواء المتحرّك (بوثوس) كان عائماً فوق الخواء منذ الأزل ، وفي لحظة الخلق اعترت الرغبة بوثوس بأن يلقح ذاته فتولّد من ذلك (موت) الذي يشبه البيضة ، وحين تفقس البيضة يخرج منها أورانوس (السماء) و جه (الأرض) . ثم

تنهمر الأمطار من السماء وتبدأ العواصف والزوابع فتتحرّك على الأرض كائنات كانت غائبة عن الوعي وتتحوّل إلى كائنات ناطقة أنثوية وذكرية تعيش فوق اليابسة وتحت الماء وتتأمّل السماء .

إن هذه الأفكار المثولوجية الفلسفية التي أعيد إنتاجها من قبل سانخينتون وفيلون نبعت عن محاولة لإضفاء طابع بدئي هيولي بعيد للمثولوجيا الكنعانية ولكنه كان غارقاً في التصورات اليونانية لخلق الكون من الخواء أو العدم .

وإذا لاحظنا آلهة السماء (اطيختون) والأرض (جه) فسنجد بأنهما يشبهان تماماً إلهي السماء والأرض اليونانيين (أورانوس وجيا) .

لكننا إذا عدنا إلى المقترح الذي وضعناه فإن هذا اللغز سيُحل ، ولا بأس أن نستذكر الأساطير الرافدينية لأنها تلقي الضوء أيضاً على ذلك اللغز : في أسطورة الخليقة البابلية (إينوما إليش) تمثّل تيامت (إلهة المياه المالحة) أي البحر وزوجها أبسو (إله المياه العذبة) أي الأنهار ، وهما الزوج الإلهي الهيولي المائي الأول وهناك كائن إلهي آخر هو (مُمُّو) الضباب الذي كان يرفرفُ فوق المياه (**انظر فريحة ١٩٧٩: ٨٩**) .

ونرى أن هذا الثالوث الإلهي القديم كان مصدر آلهة العماء اليونانية (خاؤوس ونوكوس) و (بوثوس) . . . الخ .

وبعد حركة الخلق الأولى التي حولّت هذا العماء إلى كون ، أي من الخواء (Chaos) إلى الكون (Cosmos) ، ظهرت عدة أجيال من الآلهة (لخمو ولخامو) وهما إلها الطمي الأول ، ثم (أنشار وكيشار) إلها الأفق الأعلى والأسفل اللذان ولدا أخيراً الإله (آنو) السماء والآلهة (كي) الهة الأرض .

ونرى أن هناك تشابهاً بين التسلسل الثيوغوني اليوناني والبابلي

خصوصاً إذا عدنا إلى الأصل السومري للثيوغونيا البابلية حيث نرى الآلهة الأم الهيولية الأولى (نمّو) تلد جبل الكون (أن ـ كي) الذي يظهر منه إله السماء (آن) وآلهة الأرض (كي) . بل إن هناك تشابهاً لفظياً واضحاً بين (يورانوس) و (آن) أو (آنو) إله السماء . وإلهة الأرض (كي) و (جيا) .

ولا شك أن الآلهة القديمة الكنعانية الأصل أُخذت عن الآلهة السومرية أو البابلية ، ومن كنعان رحلت إلى اليونان فأعيدت صياغتها ، لكن هذه الآلهة اليونانية عادت فصُدِّرت إلى أرض كنعان ، عبر الثقافة الهيلنستية تحديداً . ويوم يكتشف الأصل الكنعاني للخليقة القديمة ستُحسم الكثير من هذه الأمور .

ويمكننا أن ننوه أخيراً أن الالهة (جيا) أصبحت في عصور متأخرة (منتصف الألف قبل الميلاد) إلهة سعير ، وقد عبدها الأنباط باعتبارها أول مدينةٍ نزلوا فيها أو أول (أرضٍ) حلّوا فيها . وهذا يشير أيضاً إلى ما آلت له إلهة الأرض الكنعانية وكيف ألهت الأماكن التي أطلقت على اسمها . ومعروف أن صيغة (جي) هي صيغة كنعانية ثم يونانية من الأصل الرافديني السومري لإلهة الأرض الأم (كي) .

الفصل الثالث

جيل الإله إيل

(أبناء السماء والأرض)



الإله إيل يستقبل هدايا

ملك أوغاريت

إيـل EL

وهو أرفع إله كنعاني ، وله المقام الأكبر بين جميع الآلهة الكنعانية ، ويدل أسمه على مفهوم الألوهية بشكل عام وبشكل خاص في اللغات السامية . وكلمة إيل هي أقرب كلمة لمعنى الـ (إله) أو (الله) ويوصف هذا الأله بأنه إله السماء وأبو الآلهة والبشر .

صورته الأكدية :

يعتقد أن أول ذكر للإله إيل كان عند الأكديين في وادي الرافدين ، فحين ورث هؤلاء الديانة السومرية وجدوا أنفسهم أمام إله سومري عظيم هو (آن) إله السماء الذي كان يكتب أسمه بعلامة الألوهية العامة التي تقرأ بالسومرية (دنگر) وتقرأ بالأكادية (إيلو) وتعني إله السماء (آن) والإله بصفة عامة .

وربما كانت (إيلو) مشتقة من جذر بعيد هو (أول) التي تعني أشياء كثيرة منها (الرئاسة والسيادة والسلطة) أي الأول في كل شيء والذي يتميز عما يليه في الرفعة والسمو ، وقد طرأت على هذا الجذر تغيرات شملت بشكل خاص حروف العلّه وأصبح (إيلو ، إيل ، ال . . . .الخ) .

(انظر ادزارد ١٩٧٨ - ١٧٧)

وإذا كـان (إيل) المرادف الســامي للإلـه السـومري (آن) فـإنه يتطابقُ تماماً مع الإله البابلي (آنو) . ولكن التطورات التي أنضجت وطورت مفـهوم (إيل) في البـلاد الكنعانية جعلت منه إلهاً ذا صورة جديدة نقلت فيما بعد تاريخ الأديان كله نحو ناصية التوحيد التي كان إيل جوهرها .

وقد عبد الإله إيل بشكل أسم مركب مع آلهة أخرى مثل :

١- إيل عليون : إيل العالي . . . ملك السموات والأرض .

٢- إيل ركاب : راكب الغيوم

٣- إيل شراي : إيل القدير .

٤- إيليا : إيل يهوه أو إيل هو يهوه كما كان يردد اليهود .

وتظهـر الصـورة المعـروفـة عن إيل كـإله شـيخ يسـتـقـبل هدايا الملوك (شكل ٥) .

ودخل أسمه بشكل مركب مع أسماء الأعلام والملوك مثل :

١- جبرائيل : رجل الله .

٢- ميكائيل (ميخائيل) : شبيه الله .

٣- عمنوئيل : الله معنا .

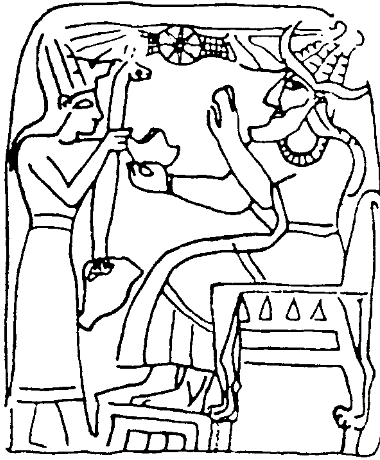
٤- اسرائيل : الله يسري .

٥- اسماعيل : الله يسمع .

٦- رفائيل : الله يشفي .

٧- حزائيل : الله يرى .

٨- نتنائيل : الله يعطي .



شكل (٥)

إيل يستقبل هدايا ملك أوغاريت

صورته الأوغاريتية :

يظهر الإله إيل (إيلو) في مجمع الآلهة الأوغاريتية كأعلى إله وكخالق للكون والآلهة والبشر ، ويسكن عند منبع النهرين (ولا نعرف أي نهرين!) وقرب مصدر المحيطين (ثمتم Thmtm) وتشير هذه الكلمة إلى مفردها (ثمت أو تمت) وربما أشارت إلى تيامت إلهة المياه الأولى البابلية وبذلك يمكن أن يكون النهران هما دجلة والفرات لأنهما ينبعان من مياه المحيط عند البابليين .

والطريقة التي يسكن بها إيل عند منبع النهرين والمحيطين تشبه سكن الإله إنكي (إيا) وسط محيطات مياه الأعماق (أبسو) أما المكان الاوغاريتي المحتمل لسكن الإله إيل فهو عند نبع (أفقه) في لبنان حيث ينبع نهر أدونيس ، وعند بحيرة (يموّنه) الواقعة في الطرف الآخر من الجبل .

ويبدو أن عزلة الإله إيل هذه كانت مناسبةً لظهور ابنه القوي بعل والذي سيحتل مكانه في إدارة الكون وسيأخذ منزلته رغم الصعوبات . يتضح لنا من شجرة الآلهة أن إرث إيل سينقسم بالدرجة الأساس بين ثلاثة آلهة هم (بعل) الذي سيملك الأرض والسماء و (يم) الذي سيملك عالم الأموات وهو العالم الأسفل . . وستنقسم مظاهر الطبيعة الأخرى كالشمس والقمر وغيرها بين آلهة صغيرة .

وسينشب صراع بين هؤلاء الآلهة الثلاثة يعكس صراع الطبيعة نفسها في أرض كنعان التي عمادها (الخصب والجدب والمياه) ، ولذلك لن تكون هناك أهمية لآلهة الكواكب كما في وادي الرافدين ووادي النيل .

صورته الحثية :

يقابل الإله (كوماربي) الحثي الاله (إيل) الكنعاني ، والإله كوماربي من أصل حوري . ويقوم الإله كوماربي في الأساطير الحثية ضد إله السماء الحثي (آنو) ويخصيه بعد أن يطيح به من العرش ثم ينفيه إلى عالم الأموات ، وهو ما يجري تقريباً بين إيل وأبيه ، ويلقب كوماربي أيضاً بـ (أبو الآلهة) . ويبدو من سياق الأساطير الحثية بأن إلهاً فتياً ينتزع الملك من كوماربي وهو ما يقابل الإله (بعل) .

ومن التشابهات الأخرى بين كوماربي وإيل هو مسكن كوماربي الذي يقع في مدينة أوركيش شمال أرض النهرين في قلب بلاد الحوريين وقرب المياه حتى أن الإله كوماربي والإله البحر يتفقان على أن يشب طفل كوماربي المقبل في البحر (بوك ١٩٧٤ :١٤٠) .

وهناك لقاءات أخرى كثيرة بين كوماربي والإله إيل في الأساطير

الحثية والكنعانية . وقد وصلت عبادة كوماربي إلى اوغاريت نفسها وذكرته أحد النصوص الاوغاريتية بأسم (إيل كوماربي) وهذا يعني أنها طابقت بينه وبين إيل .

صورته اليونانية :

كان كرونوس (إله الزمن) هو المقابل اليوناني للإله إيل ، وكان يشير إلى الأبدية والدهر ، وهو يشبهه إيل في علاقته مع ابيه اورانيوس إله السماء ، بل أنه يشبهه في علاقته مع ابنه زيوس حيث يظهر كرونوس خائفاً من ابنائه فيقوم بابتلاعهم خشية أن يقوم أحدهم بقتله ووراثته ، وحين يأتي الدور إلى زيوس يبتلع حجراً مكانه ، ثم يقوم زيوس بإجبار أبيه على لفظ إخوته وأخواته ثم ينتصر زيوس إلى الأبد .

ولا تظهر فكرة ابتلاع الأبناء عند إيل بل تظهر فكرة ابتلاع الإبن عند الإله كوماربي الإله الحيثي المناظر لكرونوس وإيل .

وقد جاءت في الأخبار الأسطورية للكاهن الكنعاني الهيلنستي سانخينتون أن الإله كرونوس (إيل) ضحى بإبنه (جنود) فوق المذبح وهو يرتدي ملابسه وإشاراته الملكية في سبيل الإله (اورانوس) بعد محنةٍ كبيرة صادفته .

أما صورته الهيلنستية فيصفها فيلون ويرى بأن له زوجاً من العيون وثلاثة أزواجٍ من الأجنحة ، وكانت صورته المنقوشة على النقود المسكوكة في مدينة جبيل (بيبلوس) تظهره بستة أجنحةٍ ، ويذكر المؤرخ ديسيكوس أن الإله كرونوس يحمل سبعة رؤوس ، ولكن هذه الصورة الهيلنستية لم تؤيدها المنحوتات أو النصوص الأسطورية (انظر ادزارد ١٩٨٧ :١٨١) .

ألقاب إيل :

للإله إيل ألقابٌ كثيرة ترد في النصوص والقصائد والأساطير الكنعانية ولعل أكثر هذه الألقاب شيوعاً ما يلي :

١- أبو الآلهة .

٢- أبو البشر : حيث يرد أسمه (أب آدم : أبو الآدميين) .

٣- خالق الخلق : حيث يرد أسمه بصيغة (باني بنوات bny bnwt) حيث كلمة بنى تعني خلق في اللغة الاوغاريتية . ويدل هذا الفعل في اللغات السامية بعامة على الولادة (يلد) أي أن هذا اللقب يمكن أن يكون (والد الولادات) .

٤- الملك .

٥- أبو السنين (أب شنم) : وهذا يعني أنه (الزمن) وربما كان هذا اللقب مصدر الأسم المرادف له يونانياً (كرونوس) بمعنى (الزمن) .

٦- الأب المتعالي .

٧- إيل عليون خالق السموات والأرض : حيث يرد هذا الوصف في العهد القديم (إيل عليون قونة شمايم وأرض) (سفر التكوين ١٤ ،١٨، ١٩، ٢٢) .

٨- خالق الأرض : وهو لقب كنعاني (قونه أرض) .

٩- الثور : وهو رمزه ولقبه ، يشابه ذلك رمز الإله (آن) السومري .

١٠- اللطيف : ولقبه (لطفان) أو الطيب .

١١- الحكيم .

١٢- إله الرحمة .

١٣- ذو الفؤاد .

١٤- الأشيب اللحية .

١٥- الجبل : حيث تسميه النصوص الاوغاريتية (جرشن) التي تقابل (خورساج وخرشانو) السومرية والأكدية ومعناها الجبل .

١٦- فاعل الخير (إطبن) Itpn .

١٧- العطوف Adp'id .

أساطير إيل

قبل الدخول في أساطير الإله إيل نودّ الاشارة إلى أن إيل وجيله من الذكور والإناث ، كلهم ، يشيرون إلى أنهم سلالة مائية خصبة فالإله إيل بحد ذاته ، رغم أنه يشبه آن السماوي ، لكنه في حقيقة الأمر يمتلك صفات الإله (إيا) إله الماء في الملحمة البابلية (اينوما إليش) وهو أب مردوخ (بعل) . ووجود مسكنه في مجمع مائي ، بدلالة النهرين ومياه البحر ، كل هذه تجعله من وجهة نظرنا إلهاً مائياً عند الكنعانيين . وبذلك لم يأخذ إله السماء (شاميما) دوراً مهماً في المثولوجيا الكنعانية . بل أنيط الدور الأكبر بالإله (إيل) الإله الأول (في البدء كان الماء) .

ولكي ندلل على ذلك بوضوح نقول أن الأخوة الذكور للإله إيل هم أطلس أي (أطل ، طلّ) وهو إلهٌ مائي أيضاً سواء عند الكنعانيين أم عند اليونان ، وداجون الذي هو إله الحبوب والأسماك ، وكانت الأسماك تشير إلى علاقته بالماء والحبوب تشير إلى علاقته بالماء والخصب معاً . والإله الثالث هو الإله (بتيل) وهو (بيت إيل) الموجود عند تجمع المياه .

أما الإلهات الأناث فهنّ عشيرة وهي الإلهة الأم الكنعانية الملقبة بـ (إيلات) . والإلهة عشتارة وهي إلهة الحب والجمال والإلهة بعلتيس وهي

إلهة الخصب ، وكل هذه الإلهات يرتبطن بالخصب والمياه ويشكلن الجانب الأنثوي من الماء .

إذن . . جيل إيل كلّه جيل مائي وهو المتن الأعظم في الآلهة الكنعانية بل هو المتن الوحيد . وهذا يعني إما إهمال آلهة العناصر الأخرى كالهواء والنار والتراب أو حذفها إذا كانت موجودة . لأن هذه العناصر ستخرج من الماء (إيل) ولا توازيه (كما يحصل في المثولوجيا الرافدينية) وهذا في رأينا تطورٌ في غاية الأهمية ستنعكسُ نتائجه البعيدة والعميقة على الأديان الشاميّة كلها وصولاً إلى المسيحية . وسيكون هذا الاستنتاج مفتاحاً لتحليل أساطير إيل . لنتذكر أولاً أسطورة صراع يم وبعل ، حيث كان الإله إيل راضياً بأن يتحدى يم البعل بل ونشمّ رائحة خوف تدثر بها إيل من يم الذي يلقب في الأسطورة (ملك السماوات والأرض) . . وهذا يعني أن الجوهر المائي ليم وإيل من طبيعة واحدة ، رغم أن (يم) يمثل مياه الفوضى والهيولي وإيل يمثل مياه الامطار المخصبة .

وإذا كان يم قد احتكر المياه المالحة باعتباره إله البحار ، والمياه العذبة باعتبار اسم (نهر) أحد اسمائه ، وهو بذلك يكون إله المياه المالحة والعذبة (أي أنه أقرب إلى نموّ السومرية وليس إلى تيامت البابلية) إذا كان هذا الإله قد احتكر البحار والأنهار فإننا نعتقد أن الإله إيل يمثل مياه الامطار الساقطة من السماء ، وهذا يفسر لماذا هو ابن (شاميما) إله السماء ، ويفسر أيضاً ، بصفته إله الامطار ، لماذا أصبح فيما بعد (أب آبائه) أو الأول على آبائه ، لأن المطر أصل مياه البحار والأنهار ، يدفعنا هذه مرةً أخرى للتمسك بنظريتنا حول بانثيون الآلهة القديمة قبل إيل لأنها تحلّ اللغز تماماً .

عندما يثور يم يبعث برسوليه إلى بعل ويوصيهما بما يلي :

«انطلقا ويمما وجهيكما

شطر مجمع الآلهة
في وسط جبال الليل
عند قدمي إيل لا تسجدا
وأمام مجمع الآلهة لا تركعا ، بل اعلنا ما لديكما» (السواح ب.ت:٩٠)

وهذا أيضاً يفسر رأي إيل في محاولة يم أسر بعل وقتله :

«فأجابه إيل ، أجابه أبوه ، الثور ، قائلاً :
ليكن بعل عبداً لك أيها الأمير يم
ليكن بعل عبداً لك إلى الأبد
إبن داجون ليكن أسيرك
وكجميع الآلهة سوف يقدم لك الطاعة
نعم ، وسيبذل لك التقدمات كأبناء القداسة» (المرجع السابق :٩٢) .

ويتغلغل وجود الإله إيل في جميع الأساطير والملاحم الكنعانية ، ولكن أسطورة واحدة أساسية تتحدث عن إنجابه لنمط معين من الآلهة تسمى (الآلهة الجميلة الوسيمة) ،وعلى رأسها إلها السَحَر والغسق (شهار وشاليم) اللذان تحولا فيما بعد إلى نجم الصباح ونجم المساء وعبر عنهما باسم الخير والعطاء على التوالي .

وتعرض هذه الأسطورة كيف أن الآلهة تدعى لحضور احتفال في الهيكل بحضور الملك والملكة ، ثم تجري عملية تهذيب الكروم أو (فرك الكروم) الذي يرمز إلى الموت ثم تجديد الحياة وهو نوع من القدّاس الإلهي الذي يجري في احتفال سنوي بتجديد قوى إيل التناسلية بعد تقدّمه في السن ، حيث تعود قوى الخصب والخير إلى الأرض ، وفي هذا القداس يُطبخ جدي بلبن أُمه في عيد بواكير الاثمار وبواكير الجداء والحملان وهو تقليد سامي قديم (خرج عليه العبريون فيما بعد وحرموا طقوسه هذه) ثم

يبدأ عرض لفتاتين جميلتين هما عشيرة وعشتارة ، حيث يردد الراقصون أمامهما نشيداً لإكثار حليب الثدي لأن وظيفتهما ارضاع الآلهة الجديدة .

وفي هذه الاثناء يظهر الإله إيل حاملاً دلوه ليجلب الماء من البئر فتراقبه الإلهتان (عشيرة وعشتارة) وتعجبان به وتعرضان رغبتهما به فيقبلهما ، ومن التقبيل والعناق فقط تحملان ولدين هما : شهار وشاليم ، ويرضع الإلهان الجديدان من ثدييهما فيأمر إيل بأن يتحولا إلى نجمين ويرفعا إلى السماء على أن يظهر الأول قبيل الفجر والثاني قبيل المساء (السحر والغسق) . ثم يلد هذا الإله من الإلهتين عن طريق (التقبيل والعناق) نسلاً من الآلهة لا يعرف الشبع فيأمر إيل أن يوضع في الأرض القفر (الصحراء) حتى يصلوا ذات يوم إلى فلاح يزرع الحنطة فيطلبوا منه أن يقدّم لهم طعاماً وشراباً فيجيء اليهم بالطعام والشراب ، وهنا ينقطع النص ولا نعرف ما طبيعة هذه الآلهة .

لكنّ قراءة متأنية للنص تخبرنا أن هذه آلهة أسمها (جزريم) التي تعني الآلهة القاطعة أو القاتلة . وربما عنت نوعاً من الآلهة الملتهمة التي وضعها إيل في الصحراء لتشبه الغيلان أو السعالي . وهكذا تشرح هذه الأسطورة ولادة آلهة ثانوية بسبب من كونها ظهرت عن طريق التقبيل والعناق ، لا عن طريق المواقعة الجنسية الصريحة . فهي أنصاف آلهة وربما كانت شكلاً أولياً لما عرف بعد ذلك بـ (الملائكة) .

عشيرة (أشيره، أثيره)

لعلّ الإلهة عشيرة هي أهم إلهة في هذا الجيل ، فهي القرينة الأساسية للإله إيل ، وتعدّ بمثابة الإلهة الأم الكبرى في البانثيون الكنعاني .

صورتها الرافدينية :

تمتد أصول عشيرة إلى وادي الرافدين ، ويدل على ذلك أسمها ، فهي إلهة عشتارية ، ولكن صيغتها هنا (عشيرة) تمتد حصراً إلى الأقوام العمورية في وادي الرافدين ، فقد كانت تسمى (أشات عموري) أي (أنثى عمورو) . وذكرتها عقود البيع والشراء بصيغة (اشراتوم أمي) أي اشراتوم هي أمي . وكان لها في بابل معبد خاص بها .

وقد أدخلها العموريون إلى العبادات البابلية فاصبحت في زمن حمورابي كنّة الإله (آنو) إله السماء ودخلت في أسماء الأشخاص مثل (عبدي أشيرتا وأوبان أشيره) . ونرى أنها عبارة عن محاولة لجعل الإلهة اللعوب عشتار إلهةً أم . اذن فهي صيغة الإلهة الأم بصورة عشتارية .

صورتها الاوغاريتية :

وفي اوغاريت احتلت مرتبة الإلهة الأم الكبرى وكان أسمها (ربت أثرت يم) ومعناه (ربة اليم أثيرة) ، وجذر اسمها الاوغاريتية (أثر) ، وفي العبرية (أشر) وفي الحالين يعني السير ويوحي أيضاً بالفعل (سرى) الذي يعني السير ليلاً . وله علاقة بمفهوم الـ (سار) السومري الذي يشير إلى الملوكية والدورات الكونية والسنين .

ولأنها إلهة الماء ولأن اسمها يشير إلى السير فقد كان من صفاتها (المشي على المياه) ويؤيد ذلك أن خادمها ورسولها (قدش عمر) يسمى صياد البحر أو صياد أثيره . ولا شك أن لهذه الإلهة علاقة بالبحر ، ولكنها لا تعد إلهة البحر .



شكل (٦)
الإلهة عشيرة عارية الصدر وهي تطعم نبات الذرة لحيوانين بريين

ولعشيرة أسماء مرادفة أخرى مثل (أشيرة ، أثيره) ولها أسمٌ آخر هو ايلات (إيله) الذي نجده أسماً قديماً لميناء العقبة حيث كان اسم هذه المدينة (إيلة) .

ويجب التفريق تماماً بين عشيرة وعشتارة ، حيث عشيرة هي الإلهة الكنعانية الأم ، وعشتارة هي الإلهة العذراء ، إلهة الحب والجمال وهي الإلهة اللعوب التي تشكل امتداداً لصفات الإلهة الرافدينية عشتار. ولذلك تظهر عشيرة في بعض الصور والمنحوتات كإلهة أم وكراعية للحيوانات والطبيعة وهي تمسك بيديها النباتات وتطعم الجداء والحيوانات البرية التي تتسلق على جسمها بينما يظهر صدرها وثداياها العاريان (ثدي الإلهة) الذي هو إشارة خصب إضافة لكونها مرضعة الآلهة الجديدة (شكل٦) .

صورتها النبطية :

لا تذكر النصوص النبطية شيئاً عن عشيرا ، ولكننا نلمحها في المحيط النبطي وتحديداً ضمن آلهة تيماء فهي تشكل جزءً من الثالوث التيمائي الكواكبي حيث صلم أو (هصلمن) هو إله الشمس ويرمز له بالثور وأشيرا زوجته وتمثل القمر وشنجلا ابنتهما وتمثل الزهرة .

أما فيما يخص الأنباط فنرى أن لإسم ذي الشرى إله الأنباط الأكبر علاقة بها ، فكلمة (شرى) ترتبط بالسير أثناء الليل أو على المياه ، ونعتقد أن (شرى) هو مذكر (ساريه) التي هي الإلهة عشيرا . وربما كان لـ (ذي الشرى) و (أشيرا) علاقة بأسم (اسرائيل) الذي نرجعه إلى اصولٍ كنعانية وعربية قديمة قد يكون هذا هو أحدها .

صورتها العربية :

ربما كان الإله (أثر) الذي يعني الصديق الأثير هو أحد ألقاب إلهة النخيل التي توصف بأنها الهة الأشجار والأنصاب ، ويشير أسمها أيضاً إلى اللمعان والضياء (أثر) .

هي إذن إلهة أنصاب وإلهة نجوم ، وقد لمحنا ما يشبه هذا في تيماء . وربما امتصت صفات الأمومة والخلق لهذه الإلهة عند العرب بصيغة الإلهة (اللات) التي هي تصحيف للإسم الثاني لعشيرة وهو (إيلات) أي الإلهة .

صورتها العبرية :

ترد عشيرة في نصوص العهد القديم على أنها (السارية) وهي عمود من الخشب ذو قدسية خاصة . وكلمة السارية التي ترد في تلك النصوص مأخوذة من أسم أشيرة أو أسيرة أي التي تسري في الليل فهي من السراة . فمثلاً يرد في سفر الخروج (بل تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم) (خروج ٣٤ :١٣) .

وفي سفر القضاة (وكان في تلك الليلة أن الرب قال له خذ ثور البقر الذي لأبيك وثوراً ثانياً ابن سبع سنين واهدم مذبح البعل الذي لأبيك واقطع السارية التي عنده) قضاة ٦ :٢٥) .

وقد جاء في سفر الملوك الأول (الآن إرسل واجمع اليّ كلّ اسرائيل إلى جبل الكرمل وأنبياء البعل الأربعمائة والخمسين ، وأنبياء السواري الأربعمائة الذين يأكلون على مائدة ايزابيل) (الملوك الأول ١٨ :١٩) .

وترد كذلك صورتها (السارية) كالهةٍ للفجور والبغاء (وهدم بيوت المأبونين التي عند بيت الرب حيث كانت النساء ينسجن بيوتاً للسارية) (الملوك الثاني ٢٣ :٦) .

وهذا يشير إلى أن هذه الإلهة كانت تعبد بين الحين والآخر من قبل اليهود وكانوا يقدسونها تحت أسم (سارية) . وكانت سارية الخشب أو الحجر رمزاً من رموزها .

واجمالاً يرد ذكرها في العهد القديم (٣٩) مرة .

ألقابها :

١- خالقة الآلهة : وتسمى بهذا اللقب لأنها مع إيل سينجبان (٧٠) إلهاً تعد أهم الآلهة الكنعانية وكذلك تلقب بـ (أم الآلهة) .

٢- الأم : وهو لقب عموري أصله من (اشراتوم أمي) عشيرة الأم .

٣- إيله (إيلاتو ، إيلات) وتعني الإلهة باعتبارها رمزاً متعالياً للإلهة الانثى .

٤- سيدة العموريين : وهو لقب عموري (أشات عموري) وقد كانت هذه الإلهة بمثابة الإلهة الكبرى عند العموريين .

٥- ربة اليم : وهو لقب اوغاريتي (ربت أثرت يم) ويعتقد أن هذه الإلهة كانت تمشي على المياه ، وأن لها علاقة كبيرة بالبحر والماء .

٦- سمكة البحر : وهي حامية صيادي السمك لعلاقتها بالبحر .

٧- السارية : وهو لقب عبري (في العهد القديم ، كان يشير اليها من خلال رموز مختلفة كالصنم والشجرة والعمود (السارية) التي تنصب عند مدخل الهيكل وربما كانت تلمح إلى العضو الذكري (انظر فريحة ١٩٨٠ : ٥٨) .

أساطيرها :

رغم أن هذه الإلهة من أعظم الإلهات الكنعانيات ، الاّ أن دورها في الأساطير الاوغاريتية لم يكن كبيراً ومتناسباً مع أهميتها :

١- في اسطورة بناء بيت البعل . تظهر عشيرة وهي تنتظر ولديها بعل وعناه وتتعرى أمام البحر وتلّف مغزلها وترمي بثيابها إلى

البحر ثم ترتب الآنية على النافذة وتصلي للإله (إيل) البعيد عنها ليعيد لها ابنها وابنتها ، ثم تفاجأ بعودتهما وتخاف وترتبك في أول الأمر ،لكنها تفرح عندما يقدمان لها الذهب والفضة ، وتكون هذه التقدمة بمثابة الطلب اليها لكي تتوسط عند الإله (إيل) ليسمح للبعل ببناء بيته أو قصره ، الأمر الذي كان يرفضه إيل بشدة ، وتوافق على ذلك وتطلب من خادمها ووزيرها (قادش عمرر) أن يسرج لها حمارها لتسافر به إلى (إيل) الذي يسكن في بيت منعزل عند نبع النهرين أو وسط مجرى الغمرين (قرب أفقه ، فيرحب بها ويقدم لها الطعام والشراب فتعرض عليه طلبها في بناءٍ بيت للبعل فيوافق إيل على ذلك .

«وعند قدمي إيل انحنت وسقطت إلى الأرض
وسجدت وكرّمته
أما إيل فإنه عندما رآها
فارقه الهمُّ (الوصب) وضحك
ووضع قدميه على كرسيٍّ وأخذ يفرك
أصابعه . ثم رفع صوته وصرخ :
لماذا جاءَت الربةُ أشيرة البحر؟
لماذا جاءت خالقة الآلهة؟
إنك جوعاً قد جعتِ لأنكِ سافرتِ (طوّفتِ وجولّت)
وعطشاً عطشتِ (أو إغماءً أغمي عليكِ) لأنكِ أسريتِ .
ها هو الطعامُ والشرابُ . . الطعام
على المائدة ، فكلي واشربي

الخمرة بالكبيرة (الكرنيب)، بالكأس الذهبية
اشربي دم الدالية . ها أن محبة (ذكر) إيل الملك
تثير فيكِ شهوةً ، ومحبة ثور تهيجكِ» (فريحة ١٩٨٠:١٣٥)

٢- أسطورة موت بعل : تظهر عشيرة في نهاية الأسطورة فرحة بموت بعل وكأنها عدوة له . حيث تخبر عناة (اخت بعل وزوجته) الإله إيل بذلك .

«وعند قدمي إيل انحنت وسقطت إلى الأرض
وسجدت وكرّمته
ثم رفعت صوتها ونادت : لتفرح الآن
أشيرة ، وبنوها ، الربة وجماعةُ
عشيرتها إذ أن الظافر البعل قد مات
إذ قد هلك الأمير سيد
الأرض . رفع إيل صوته» (فريحة ١٩٨٠: ١٧٢-١٧٣) .

٣- أسطورة إله الطقس الحثيّة ذات الأصل الكنعاني التي تورد أن هذا الإله قام بزيارة الإله (إيل) في منزله ولم يجده ، فتستقبله أثيره في مخدعها وتغويه لكنه يقاومها ويشكوها إلى زوجها ، ويروي اتهاماتها له كيف أنه أصبح عاجزاً عن إرضاء شهواتها ، فيغضب إيل منها ويطلب من إله الطقس أن يستدرجها ويغويها ثم يذلّها (انظر ادزارد ١٩٧٨: ١٦٦)

وتلقى هذه الأسطورة والأسطورة الأولى ضوءً على العلاقة الباردة التي أصبحت بين الإلهة عشيرة والإله إيل بسبب شيخوخة إيل وعزلته وضعف قواه الجنسية .

وزراؤها وخدّامها :

١- قادش - عمرر : وهو وزيرها الأول ويعني أسمه (المقدس المبارك) حيث يظهر مقطع عمرر مرادفاً لجذر (ب ر ك) وكذلك له علاقة بالإله العموري (عمورو) . وله اسماءٌ اخرى مثل (صياد سيدة البحيرة) و (صياد أثيره)

٢- دمجي : وهي أمةُ عشيره التي تظهر مع أمة إله القمر (يرح) وهما تشكوان من مضايقةالإله البعل لهما ، فيقترح الإله إيل بأن تتنكر المرأتان وتذهبا إلى البرية فتجامعهما حيوانات مفترسة يذهب لاصطيادها ، فيقع في المستنقع ويصاب بحمى وحرقة الشمس .

* * * *

الآلهة الذكور والإناث من جيل إيل وعشيرة

تنعكس صورة ووظائف الإله إيل وعشيرة في أسماء وصفات الآلهة من جيلهما .

إن الآلهة الذكور (اطلس ، داجون ، بيتيل) وحتى دماروس (عمورو) هم بمثابة اشكال اخرى من الإله إيل إله السماء والمطر ، فالإله اطلس يشير إلى الندى والإله داجون يشير إلى الماء والسمك ، والإله بيتيل يشير إلى مكان إيل حيث المياه والأنهار .

أما الإلهات الإناث وهن (عشتارة ، ريّا ، بعلتيس) وحتى أنوبرت هم بمثابة أشكال أخرى من الإلهة عشيرة (رغم أننا نرى أن يمّو هي الإلهة الأم الكنعانية قبل عشيرة) ، وفي جميع الأحوال يمتلكن صفات الأمومة والخصوبة والحب والجمال ، ويقوم الإله إيل بمضاجعتهن جميعاً وينجبن منه سلالات من الآلهة المعروفة .

أطلس Atlas :

ربما كان مصدر هذا الإله هو اليونان ، فهو يرد في مجمع الآلهة فيها وله عدة أساطير ، ولكنه لا يأتي أخاً لكرونوس (الذي يقابل إيل في المثولوجيا الكنعانية) بل يأتي إبناً للإلهة جابيت مع ابيمثيوس (الانسان الإله) وبرومثيوس (سارق النار) ، ويوصف أطلس أنه أبو النجوم السبعة (الثريا) .

ويبدو أن أطلس في المثولوجيا الكنعانية لا يأخذ دوراً كبيراً ولا ترد عنه أساطير أو لمحات مثولوجية واضحة سوى معرفتنا بأن الإله (إيل) يقتل أخاه (أطلس) .

وإذا كان أطلس مقحماً من قبل فيلون الجبيلي من المثولوجيا اليونانية في المثولوجيا الكنعانية ، فإننا نرى أن جذره ا لكنعاني يكمن في كلمة (طل) التي تعني الندى ودليلنا على ذلك وجود إلهة كنعانية باسم (طلاّي) وهي ابنة بعل وهي إلهة الطل أو الندى أو الرطوبة .

داجون Dagon :

ظهر هذا الإله في العبادات العراقية القديمة (الأكدية) وفي بلاد الشام الأموريه والكنعانية وعند الفلستينيين .

ففي وادي الرافدين ظهر في المدونات الأكدية في منطقة الفرات الأوسط (ماري وترقا) وصارت هذه المنطقة مركز عبادته الرئيسية . وفي العصر البابلي القديم قامت بعض القبائل السامية (في حكم سلالة إيسن) بعبادته قرب مدينة (نفرّ) . وكذلك عبد في آشور إبان العصر الآشوري القديم ، ويعتقد أن عبادته في وادي الرافدين كانت تجري على أساس أنه إله الأمطار والعواصف لأن إحدى كسر الألواح الكتابية في

شـمـال وادي الرافـدين تذكـره على أنه والد إله الطقس الذي هو (أدد) ، ويؤكـد ذلك أن هذا الإله يقـترن بأسم الإلهـة (شـالا) التي هي زوجـة إله الطقس الأكـدي وهي الهة النار المسمـاة أيضاً (شلش) التي كـانت تناظر الإلهـة (ننليل) زوجة الإله إنليل ، ربما لأن زوجـهـا إله الحبوب وان ننليل إلهة الحبوب أيضاً .

وهناك اشـارات واضحـة على عبـادته في مـدينة تولول ، وكـان هذا الإله يكتب أسمه بالأكدية (دا - جان) و (دا - جا - ان) و (دا - جا - نا) وكان يعبد مع الآلهة السومرية (اور الثالثة) ويطلق عليه (ملك البلاد) و (سيد الآلهة) .

وفي بلاد الشام تتضح جذور هذه الإله واضحة عند الاموريين ويلفظ اسمه (داجون) أو (دجن) . وتعني هذا الكلمة في اللغة العربية (الغائم) و (الممطر) و (الضبـاب) وهو مـا جسـدته عبـادته عند الاكـديين . أمـا في اللغات الأوغاريتية والعبرية والفينيقية فتعني هذه الكلمة (حبوب) وهو ما ذهب إليه فيلون الجبيلي أيضاً .

لكن هيرونيموس يرى أنه اسم مركـب من (داج) و (اون) وهو يعني شكلاً من أشكال السمك ، وعلى هذه الصـورة عبـد الفلسـتينيـون هذا الإله .

ولا تردد الأساطير الأوغاريتية ذكر هذا الإله كثيراً ويردُ أحياناً على أنه أبٌ للإله (بعل) لكن الأب الحقيقي لبعل هو الإله إيل ولابد أن ذلك متـأتٍ من دمج شـخـصـيـتي داجـون وايل في إله واحـد (**انظر ادزارد ١٩٨٧: ٢١٣**) . وقد عثر له في مركز مدينة اوغاريت على معبد كبير .

ويظهـر الإله داجـون في النصـوص الاوغـاريتـيـة على أنه إله الحبـوب والذي ينظم المجاري المائية ويبشر بالمطر . وقد اعتبره الأموريون بصفةٍ عامة إله الطعام .

أما الفلسطينيون فقد عبدوه باسم (دجون) حوالي ١١٠٠ ق.م كإله للأسماك، ولكنه كان على رأس مجمع آلهتهم في نفس الوقت، وكان أيضاً إلهاً للحرب (بحكم صلته بالعواصف والأمطار) وله معبدٌ في غزة كان يلعبُ دوراً رئيسياً في احتفالات النصر حيث تقدم له الأضاحي والقرابين والنذور.

ويرد ذكره في العهد القديم في عدة أسفار (صموئيل الأول، الأيام الأولى، القضاة) ولكن الجذر الأبعد لداجون (داجان) الذي نلمحه في بلاد الشام يأتي من حضارة إبلا (الألف الثالث قبل الميلاد) (وهي جنوب حلب وشرق أوغاريت)، حيث يأتي ذكر هذا الإله مع كبار الآلهة ويرد اسمه في الرقم الإبلائية على شكل العلامة السومرية (بي) وهو لقب يختصر كلمة (بعلوم) التي تعني السيد أو الرب ويرتبط أسمه بأحد الأشهر الابلائية الذي يسمى شهر السيد (ايتو - بي - لي) بل إنه كان يقدّس في إبلا باعتباره (ملك توتول) وهي مدينة في وادي الرافدين، وأظهرت الحفريات معبدين له في (ترقه) سُميّا (بيت راحة الموتى) و(بيت رعشة البرد) (**انظر القيم ١٩٨٩: ٧٨، ٨٢**).

دماروس Damaros :

يبدو لنا هذا الإله غريباً عن الاصول الكنعانية ولذلك نرجح أن يكون يونانياً، وربما كان اسمه تصحيفاً للإله (عمورو) ثم اضيفت له (س) اليونانية.

وبشكل عام.. يمكن القول أن الإله اطيختون كانت له محظيات كثيرات يغيظ بهن زوجته أدمه، وقد أنجب من إحداهن الإله دماروس الذي أنجب بدوره الإله ملقارت الذي هو (هرقل) وعمورو هو الإله القومي للأموريين والذي كان ينظر إليه كإله كواكبي أو سماوي.

بيتيل Betyl :

وتسميته اليونانية (بيتلوس) . ويبدو أن أصل تسميته بيتيل جاءت من (بيت إيل) أي أن هذا الإله كان في أساسه إسم مكان لعبادة الإله إيل ثم تحول هذا الاسم إلى اسم إله بذاته ، ولا تفصح النصوص الاوغاريتية عن وجود مثل هذا الإله . ولكن العهد القديم يذكره كثيراً (التكوين ، إرميا ،عاموس) وربما يكون اليهود قد عبدوا إلهاً بهذا الاسم .

والراجح عندنا أن هذا الاسم يشير إلى الأنصاب الحجرية التي كانت تشير إلى هياكل أو بيوت الإله (إيل) . ولذلك ذكرته المصادر اليونانية واللاتينية كـ (بيت إيليا) .

ونرى أن هذا الإله في أصله كان اسم مكان الإله إيل ، ولأن مكان الإله أيل في مناطق الأنهار والمحيطات المائية ، فهو إذن محيطٌ مائي ، وعلى هذا الأساس يكون الإله (بيتيل) إلهاً مائياً كان اسماً لمكان ثم تحول إلى أخٍ للإله إيل .

عشتارت (عشتارة)

جاء ذكر اسمها بصيغ وأسماء مختلفة هي (عشتارت ، عشتارة ، عشتارته ، عثتارة ، عثترة ، عشتورة) ويجمع الإسم بلفظة عشتروت . ويعني هذا الإسم بصورة عامة الإلهات (إشتارتي) الذي يقابل اسم (إيلاني) الذي يعني آلهة .

ومن الضروري التفريق بين هذا الاسم واسم الإلهة (عشيرة) زوجة الإله (إيل) .

وتشير هذه الإلهة الكنعانية إلى صفات الإلهة البابلية (عشتار) تحديداً فهي إلهة الحب والجمال والخصب ، إضافة إلى أنها تشير إلى

كوكب الزهرة الذي له علاقة بالزرع ومواسمه .

ترد في الأساطير الأوغاريتية بصورة ثانوية ففي أسطورة (بعل ويم) تنصح عشتارت الإله بعل أن لا يقتل الإله يم بل يحتفظ به أسيراً .

وترد في ملحمة كرت كمثال للجمال والحسن حيث يشبّه الملك بها محبوبته .

ويذكرها العهد القديم مفردة باسم (عشتوريث) وبالجمع باسم (عشتوروث) في أسفار (التكوين ، التثنية ، يشوع ، صموئيل الأول والثاني ، الملوك الأول والثاني) لكن الإغريق يسمونها أستارتي Astarte . ولا يزال لفظ هذه الآلهة باقياً في كلمات مثل Austrom Astar, stara, stella) وكذلك في اسم عيد الربيع أو عيد الفصح Easrter .

ولن نغالي إذا قلنا أن كلمة أسطورة مشتقة من اسم عشتار بعد تصحيفها ، بل إن كلمة الشرق في الإنكليزية East لها علاقة باسم عشتار ، ناهيك عن كلمة نجمة Star وعن كلمة قصة Story وغيرها (انظر الماجدي ١٩٩٧:٢٩-٣١).

هذه الإلهة التي تلخص ميثولوجيا الشرق كله . كان أصلها سومرياً هو (إنانا) أي ملكة السماء التي سمّاها الأكديون (عشتار) وصار هذا الاسم مصدر كل الأسماء الأخرى .

إن عشتروت في البانثيون الكنعاني لا تأخذ نفس المكانة التي كانت عليها عشتار البابلية ، فهي بسبب من سطوة الإلهة عشيرا زوجة إيل واختها في هذا الجيل من الآلهة ، وبسبب من سطوة الإلهة عناة زوجة بعل في الجيل القادم . . نرى هذه الإلهة تأخذُ دوراً هامشياً في الأساطير الكنعانية . . ولكنها تظهرُ بالكثير من الصفات الأسطورية :

١ . سيدة المعارك وإلهة الآسيويين : تظهر عشتروت في إحدى المسلات كمقاتلة عارية فوق فرس مشدود العنان إلى جسدها وهي ترمي نبلة من قوس على الأعداء .

وهناك مشهد آخر لها وهي عارية وفي عنقها القلادة ، وفي أصابعها الخواتم ، وتمتطي جواداً وتلوّح بسلاح في يدها .

٢ . سيدة المشاعل : حيث كان مركز عبادتها في (أفقا) قرب بحيرة (يمولة) في لبنان حيث هربت هذه الإلهة بعد أن لاحقها الثعبان تيفون ، وكانت عبادتها هناك مرتبطة بالنار حيث كانت تحمل المشاعل وتشعل النيران على شكل كرات فوق سطوح المعابد ، ويروي زوسيموس أنها كانت تلقي كرات ضخمة من النيران من أعلى جبال لبنان باتجاه نهر أدونيس إيذاناً ببدء الاحتفال المقدس (انظر ادزارد ١٩٨٧:٢٢٥)

٣ . ضجيعة إيل : وتذكر الأساطير أن أيل ضاجع إلهتين ظهرتا على شكل مشاعل وهما (عشتارة) و (عناة) . وأنه بعد مضاجعته لعشتارة ولدت له سبع بنات (تيتانيدس أو أرتميدس) وصبيين هما (باثوس) و(إروس) .

٤ . ذات القرنين : يذكر فيلون أنها كانت تضع على رأسها تاجاً على شكل رأس ثور يرمز إلى السلطة ، ويرد في العهد القديم مكان اسمه (باشان عشتروت قرنيم) الذي يعني (باشان عشتروت ذات القرنين) ، وقد عثر على نصب من الحجر الكلسي في بيت شان تظهر عليه عشتروت مرتدية ثوباً طويلاً شفافاً يظهر تقاطيع جسدها وتحمل بيسراها عصا طويلة ، وبيمينها صليب الحياة

المصري (عنح) وهي تعتمر تاجاً مخروطياً متطاولاً تحيط به من الأعلى ريشتان يبرز تحتهما قرنان (انظر ادزارد ١٩٨٧:٢٢٥) .

ومن هذه الصور المثولوجية للإلهة تبدو هيئة عشتروت في المثولوجيا الكنعانية مرتبطة بالحرب والحكم والسيطرة من ناحية والحب والجمال والجنس من ناحية أخرى .

وتلد عشتار من الإله إيل في أسطورة (مولد الآلهة الجميلة) ، عن طريق التقبيل والعناق ، الإله (شاليم) وهو إله نجم المساء ، وإله العطاء . بينما تلد عشيرة الإله (شهار) إله نجم الصباح وإله الخير . ويعاشر إيل الإلهة عشتارة جنسياً فينجب منها التيتانات السبع (العمالقة) وهنّ إلهات مائيات يذكرنّ بالتيتانات اليونانية ، وترتبط إحداهن بالإله (صديق) وتلد منه الإله أكلبيوس (وهو الإله اسكلابيوس اليوناني) إله الطب والشفاء ، وتلد أخرى وهي (سيديل) الكبيرو السبعة .

وتلد عشتارة من إيل (حسب رواية فيلون) الإلهين ايروس (Erose) وبوثوس (pothos) .



شكل (٧)
الإلهة عشتارة وهي عارية / رأس الشمرا

ربّا :

يذكر فيلون هذه الإلهة ، وهي ضمن البانثيون اليوناني تظهر كزوجة للإله كرونوس الذي يقابل إيل ، ولا تحمل هذه الإلهة أية أهمية في المثولوجيا الكنعانية ، رغم أن فيلون يذكر أنها أنجبت من أيل أيضاً سبع

أطفال من بينهم الإله (موت) إله الموت الكنعاني الذي يدخل في صراع طويل مع الإله بعل .

ونرى أن كلمة (ريّا) مشتقة من اسم الأرض في اللغة الكنعانية (أرسو ، أرساي ، آر) والتي تحولت إلى أرض في العربية بعد ذلك ، لكن كلمة ريّا تعني الأرض تماماً في اللغة الكنعانية .

ونرجّح أن تكون الإلهة (ريّا) تنويعاً لفظياً على الإلهة القديمة أرسو (أديم ، أدمة) وبذلك نرى أنها زحفت من الآلهة القديمة إلى جيل إيل ، ولأن إيل يمثل رب السماء فقد أصبح هذا يعني أن إيل وريّا هما السماء والأرض بصيغة جديدة ، أي الصيغة التي تلت الإلهين الأصليين للسماء والأرض وهما (شاميما وأرسو) . وفي المثولوجيا اليونانية يتماثل الإلهان كرونوس وريّا مع أورانيوس وجيا أيضاً . وتندمج شخصية ريّا مع جيا (ونؤكد ثانية أن جيا هي السومرية كي وريّا هي الكنعانية أرسو) «ولكل من الإلهتين نفس التلهف الأمومي ، ولقي كل من زوجيهما نفس النهاية غير السعيدة . وبالطريقة نفسها التي جعل الإغريق البدائيين من جيا الأم العظمى وخالقة لجميع الكائنات ، هكذا تأكدت أفضلية ريّا من حقيقة كونها قد جُعلت أمّاً لجميع آلهة الأولمب العظام . وبالرغم من أصل ريّا الأجنبي إلاّ أنها سرعان ما اكتسبت ملامح إغريقية خالصة . وادعى العديد من الأقاليم اليونانية شرف كونها كانت مسرحاً لسلسلة حوادث إلهية لأسطورتها . . . وتبدلت شخصية ريّا الهيلينية بتأثير (سيبيل) الإلهة الإيجية العظيمة التي أُدخلت عبادتها قديماً إلى اليونان إلاّ أن كلاً من الإلهتين دمجتا معاً في النهاية» (الخوري ١٩٩٠ ج٢ :٥٠) ونحنُ نرى أن الإلهة الأم الكبرى في المثولوجيا الكنعانية هي (ريّا) وليست عشيرة ، لأن الوقائع تشير من خلال قراءة معمّقة لجدول أنساب الآلهة الكنعانية الذي

وضعناه إلى أن الآلهة القديمة (شاميما وإديم) ، على ما يبدو ، قد وضعت أول جـيل جـديد مكوّن من زوج إلهي هو إيل وريّا الذي يناظر سابقه (شاميم وإديم) ، وإيل وريّا هما إلها السماء والأرض الجديدان . وما أخوة إيل إلاّ أسماءٌ منوّعة ومقحمة مع إيل ، وما أخوات ريّا إلاّ أسماء مقحمة مع ريّا ، لكن عشيرة بحكم شهرة عشتار اكتسبت مع الوقت مكانةً أكبر من ريا التي رحلت إلى اليونان ، ثم شطرت عشتار الكنعانية إلى إلهة أم (عشيرة) وإلهة بنت (عذراء) هي عشتروت . وصار لزاماً على المتعبدين وضعهما في ذات المستوى ، بل وبمكانة متقدّمة ، مع ريّا . ويرى فيلون الجبيلي أن الإله إيل اتصل جنسياً بالإلهة ريّا وأنجب منها سبعة أطفال منهم الإله موت وهو إله الأرض السفلى (العالم الأسفل) ويطلق عليه فيلون اسم ثانوتوس Thanatos أو بلوتون Platon لأن موت الكنعاني يقابل إله الجحيم اليوناني بلوتو .

ديونة (بعلتيس) :

الإلهة الأنثى الأخرى هي ديونه ، ويبدو هذا الاسم مرتبطاً باسم أدونيس فهي السيدة ، أو هي مؤنث ديونسيوس الإله اليوناني الآسيوي الداعر الذي كانت احتفالاته السنوية تشير إلى الخمر والجنس والتهتك (باخوس الروماني) .

ويشير لقبها الآخر بعلتيس إلى ارتباطها باسم الإله بعل الذي يحمل ذات الصفات التهتكية المعروفة . وقد تكون بقايا الإلهة بعلات (Ba'alat) التي ذكرتها أختام جبيل في الألف الثالث قبل الميلاد على أنها (سيدة جبيل) ، والتي تصفف شعرها على الطريقة المصرية وتحمل

قرصاً بين قرنين على رأسها مما يجعلها مشابهة للإلهة المصرية (حاتحور) (انظر Larousse 1959:73)

تنجب ديونه من الإله إيل سبع بنات . وتذكّر صفاتها هذه وكأنها صورة أخرى من عشتروت .

أنوبرت :

وهي حورية مائية تذكرها المدونات الهيلنستية ، أي أنها طارئة على الشجرة الكنعانية ، لكننا نذكرها هنا كي لا تفوتنا أية إشارة لآلهة كنعانية أو كنعانية هيلنستية . ويبدو أن الإله إيل يعشق هذه الإلهة وينجب منها أبناءً كثيرين منهم إله ذكر يسمى (جنود) يضحى به للإله (أورانيوس) في الأوقات العصيبة . ويبدو أن الإله جنود هو إله أُضحية ، وهو طقسٌ كان مألوفاً عند الساميين القدماء ، وقد ضحى به الإله إيل لأبيه إله السماء .

الفصل الرابع

جيل الإله بعل

(أبناء إيل)



الإله بعل يمسك الصاعقة بيده اليمنى والرمح المورق باليسرى

يبدو أن بعل مثل (مردوخ) يستولي على مقاليد الأمور ويصبح بطل وسيد وملك الآلهة . ويختزل ، مثل مردوخ ، صفات الطبيعة وأشكالها على شكل أبناء أو صور له . ويحتوي جيل بعل بالدرجة الأساس إلهين هما بعل وعناة وهما نظيرا الإلهين السابقين إيل وعشيرة . ولذلك يشبه أخوة بعل الإله بعل في صفاته ، وتشبه أخوات عناة الإلهة عناة في صفاتها .

إن الآلهة الذكور في جيل بعل يمثلون الصفتين الأساسيتين لبعل وهما الخصب والحرب ، ففي حقل الخصب يمكن وضع الآلهة (أدون إله الحب القتيل ، أشمون إله الطب ، شدرافا إله الشفاء ، وإلها الخير والعطاء شهار وشاليم) وفي حقل الحرب يمكن وضع الآلهة (حرون إله الحرب ، ملقارت إله النار ، موت إله الجحيم ، جنود إله الأضاحي) .

أما الإلهات الإناث فيمكن أن يمثلن الوجهين بنفس الطريقة فمن إلهات الحب من أخوات عناة الإلهات (عشتارت إلهة الحب والجمال ، قادش الإلهة المقدسة ، أثينا إلهة الحكمة) ومن إلهات الحرب والدمار (فرسفونه إلهة الجحيم) .

وهكذا كان ينظر دائماً إلى آلهة الحب والجمال في هذا الجيل كنظائر للإلهين بعل وعناة في وجههما العاشق والمحب . وينظر إلى آلهة الحرب والدمار من خلال وجههما الآخر .

بعل Ba'al

يمثل (بعل) الإله الإبن فهو ابن (إيل) أب الآلهة وهو تجلّيه الأرضي . وينحدر لقب أو اسم بعل من الإله البابلي مردوخ الذي كان يلقب بـ (بل) أو (بيل) وأصبح تصويت هذا الاسم في بلاد الشام (بعل) . وهو الشكل التفريدي Henotheism للآلهة الشامية ، بينما يمثل الإله إيل الشكل التوحيدي Monotheism لهذه الآلهة .

وكانت التسمية الشائعة لبعل في سوريا القديمة هو (حدد) الذي نجده في البانثيون السومري تحت اسم أدد ، وفي البانثيون البابلي و الآشوري تحت نفس الاسم (حدد) وكان مرتبطاً بالمطر والسحاب والصواعق والبرق وأشكال الخصب .

ولنبحث أولاً في علاقة بعل بأبيه إيل لأن هذه العلاقة ستحمل مفتاح الديانات الكنعانية والسورية اللاحقة .

لا بد أولاً من القول أن هناك من يذكر أن أب بعل هو داجون الذي نرى (حسب شجرة الآلهة الكنعانية) أنه عمّ بعل لأن داجون وإيل أخوة . . وقد اختص داجون بالقمح والحبوب ، ولذلك نرجّح أنه عندما يرتبط بعل بالقمح والحبوب يقال أن أباه هو داجون .

الثابت دائماً أن أيل هو الأب وبعل هو الإبن ، وكما تلخصت صفات أخوة إيل في إيل . فإن صفات وأبناء وأشكال بعل تتلخص في بعل . ويلخص تاريخ الصراع بشكليه المعلن والخفي بين الإلهين إيل وبعل

تاريخ الديانات الكنعانية والشامية وصولاً إلى المسيحية . وحين كان الاتجاه الإيلي ينتصر فإنه يقوم بتصوير البعل وجماعته كشياطين وإباحيين وحاملي الشر . وحين ينتصر الإتجاه البعلي يتم تصوير إيل وجماعته كعجائز وخاملين وضمن الآلهة القديمة البائدة . «من هنا كان من الصعب جداً على الاتجاه الإيلي أن يتعايش مع الاتجاه البعلي ـ العشتاري الأقدم عهداً والأرسخ في التقاليد . وكان من المستحيل من جهة أخرى ، على بعل وعشتارت أن يتحولا إلى مجرد وكيلين لخصب الطبيعية ، متنازلين تماماً عن مكانتهما السابقة التي تبوءاها منذ عهد المستوطنات النيوليتية الأولى . وكان الصراع ينتهي لصالح إيل في فترات أخرى ومناطق أخرى . وبين الشدّ والجذب كانت تسود في بعض الأحيان تسوية دينية تجمع الإلهين في بانثيون واحد في حالة تعايش ووئام» (السوّاح ١٩٩٣ :٣٤٧) .

وقد أوضحنا أن مرادفات بعل في التراث الرافديني هما بل (مردوخ) البابلي ، وإنليل السومري لأنهما إلها العاصفة والهواء . أما الربط بين بعل وأدد فلاحق وواضح أنه جاء من وظيفة أدد في البرق والعاصفة والمطر .

أما في التراث اليوناني فهو يقابل الإله (زوس) الذي هو الإله القومي للإغريق ، والذي يقابله عند الرومان (جوبتر) . ويوصف زوس بأنه إله العاصفة الذي يمسك بالصاعقة . ويكاد الصراع بين زوس وكرونوس يشبه الصراع بين بعل وإيل .

وهكذا انعكست في صورة بعل الآلهة مردوخ ، إنليل ، أدد من وادي الرافدين وإله العاصفة الحثي (تيشوب) وإله العاصفة الحوري (تاهوندا) ، ثم مثل هذا الإله في سوريا لاحقاً الإله السوري (حدد) (الأشكال٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١)

وقد حصل هذا بعد فترات متباعدة من تطور شخصية بعل الأصلية في كنعان وأوغاريت .



شكل (٨)
إله العاصفة الأشوري (أدد)



شكل (٩)
إله العاصفة الحثي
(تيشوب) القرن ٩ق.م



شكل (١٠)
إله العاصفة الحوري
(تاهوندا) القرن ٩-٨ق.م



شكل (١١)
إله العاصفة السوري
(حدد) القرن ٩-٨ ق.م

أساطير بعل

تبدأ ، من وجهة نظرنا ، أساطير البعل من صراعه الرهيب مع الآلهة الأم الأولى الكنعانية (يمو ، أم) والذي تلاعبت به الأسطورة الكنعانية وصورته لنا كصراع عابر ، في حين أنه يشكل أول وأعظم صراع بين الآلهة الجديدة والآلهة القديمة . إنه يشبه تماماً صراع مردوخ مع تيامت . . وتترتب على نتائجه أمور كثيرة لا تكشف عنها الأسطورة الكنعانية المحرفة مع الأسف .

لكننا بعد أن كشفنا عن هوية الإله يم وارجعناه إلى أصله الحقيقي باعتباره الإله/ الإلهة الكنعانية الأم الأولى . . يمكن أن نعيد قراءة هذه الأسطورة ونكشف أسرارها الدفينة . ونرى وفق ذلك أن خلاصة الأسطورة تكمن في أن الإلهة الكنعانية الأم الأولى (أم ، يم) تضجر من الآلهة الجديدة وتبعث متحديةً بعل (وهو أقواها وأكثرها فتوة) فيقبل بعل التحدي ويقوم بتهيئة أسلحته ثم يقتل الإلهة الأم ، ويصبح بذلك الإله الأعظم ، ملك الآلهة .

ولأجل ذلك يطلب الإله بعل من مجلس الآلهة ومن إيل أن يبنى له بيت (وهو موضوع الأسطورة الثانية لبعل) . حيث تكلّف عناة بنقل رغبة بعل في ذلك إلى إيل ، ويوافق إيل بعد إلحاح عشيرة والآلهة ، ثم يبدأ بناء البيت على يد الإله كوثر حاسيس (الإله الصانع) بعد أن يذبح له الثور ، ويبنى بيت بعل فيكون آية في الجمال وهو يعتلي قمة جبل صفون (سابانو) . وهناك عدة تنويعات على هذه الأسطورة . ثم تأتي الأسطورة الثالثة حيث يتزوج بعل من عناة ، ومن بناته الثلاثة(أرساي ، بدراي ، طلاّي) .

وحين يستقر الإله بعل في بيته المحتفى به هذا ينطلق صوته من

نافذة قصره ، مجلجلاً مدوياً يهز أركان العالم ويبث الرعب في قلوب أعدائه ، وعند ذاك يعلن بعل بأنه لن يدفع من الآن فصاعداً الجزية إلى الإله (موت) وهو إله الجحيم والعالم الأسفل ، ويقوم بإرسال هذه الرسالة إلى الإله موت عبر رسوليه (جفن وأوجر) . وهنا تبدأ الأسطورة الرابعة حيث يقوم الإله (موت) بالإجابة الحادّة على ما قررة بعل ويرجع الرسولان إلى بعل ويبلغانه ذلك ، وبسبب تشوه في النص لا نعرف لماذا يرضخ بعل إلى إرادة موت ويقرّر النزول إلى العالم الأسفل متوجهاً إلى موت ومصحوباً بسحبه ورياحه وأمطاره وسبعة من غلمانه وثمانية خنازير وثلاث زوجات ، وقبل نزوله نهائياً يقوم بمضاجعة عجلةٍ في المرعى ، لعلها عناة ، سبعاً وسبعين مرة وينجب منها ولداً . ثم تعثر عناة على جثة بعل وتصعد بها إلى جبل صافون وتقيم لها طقوس الدفن والحداد . ويُختار عشتار مكان أبيه لكنه لا يليق بعرش أبيه . ثم تبدأ عناة بالذهاب إلى موت أكثر من مرة وتطلب منه أن يعيد أخاها وزوجها لكن موت يسخر منها ، فتقوم في المرة الأخيرة بتقطيعه إرباً إرباً وتصفي دمه بمصفاة وتحرق لحمه بالنار ثم تطحن عظمه بالطاحونة وترمي فتاته فوق الحقول لتأكله الجوارح .

ثم يقوم بعل من الموت ، وبعد سبع سنوات يعود موت ويبدأ الصراع من جديد بين بعل وموت . ويبدو أن هذه الأسطورة تفسّر دورة مناخية في أرض كنعان كانت تُختم كل سبع سنوات بنوع من الجفاف وشحة في الأمطار .

وهناك ما يشير إلى وجود اسطورة صراع بين الإله بعل والتنين لتن (لوثان) والأفعى (شليط) ذات الرؤوس السبعة ، وهي كائنات خرجت من العالم الأسفل فسحقها بعل ، ويبدو أن عناة تساعده في ذلك ، وتذكر

إشارة أسطورية كائنات سفلى أخرى وهي (أرش : حبيب إيل ، عتك : عجل ايل ، إشت :النار كلبة الآلهة ، زيب : النار الملتهبة إبنة إيل) . ونرجّح أن تكون هذه الآلهة مقصاة أو منفية إلى العالم الأسفل وأن لها شأناً في مجمع الآلهة القديمة الذي ناقشناه .

أما الأسطورة السادسة فهي صراع بعل مع المواشي المتوحشة (أكليم) و(عقيم) حيث يقترح الإله إيل خلق مواشي متوحشة من وصيفتي الإله يرح (القمر) والإلهة عشيرة (الأم) وهما تاليش ودجمي ، وبعد أن تولدا الماشية المتوحشة التي تشبه الثيران والجواميس ذات القرون . ويتوجه بعل لصيد هذه الحيوانات لكنه يصطدم بها فتصرعه ويسقط في الأوحال وتنتابه الحمى التي تهد جسده لمدة سبعة أو ثمانية أعوام ، ويبدو أن هذا العقاب قد حصل بسبب أن الإله بعل ارتكب خطيئة ما (لأنه يحمل دم أخيه في رقبته مثل الثوب الذي يرتدية ، مثل ثوب دم عشيرته) بعدها يُعثر على الإله المفقود وتقام له الطقوس والتعاويذ على الماء . وهذه الأسطورة تفسر من منظور آخر غياب بعل وجفاف الأرض .

ربما كانت هذه الأساطير الكنعانية هي أهم أساطير بعل المتوفرة إلى الآن . وهي تشكل مجموعة مهمة من الأساطير التي تلقي الضوء على شخصية بعل التي هي أقرب إلى مردوخ منه إلى تموز ، أي أنها أساطير إله رسمي وليس شعبي . . لكننا نلمح الشخصيّة التموزية في الإله الفينيقي (أدون) نظير بعل .



شكل (١٢)
أ. بعل الجبّار (بعل بصورته الكنعانية الأوغاريتية الأولى)



ب. بعل (تمثال برونزي)

عناة

نرى أن اسم (عناة) مشتق من اسم الإلهة السومرية (إنانا) وهي إلهة الحب والجمال ورفيقة دموزي وقصتهما الأسطورية معروفة وذائعة الصيت ، وهذه القصة تشكل نواة قصص الحب والعذاب في العصور القديمة .

وعناة هي وريثة أمها (عشيرة) مع تطرف كبير في شخصيتها العاشقة أو المحاربة واختفاء أو ضمور صفة الأمومة فيها ، فهي إلهة قاسية وتبدو داعرةً أكثر مما يجب .

وتوصف عناة بأنها أخت بعل وزوجته وهي التي تقف دائماً ودون تردد إلى جانبه في كل الأمور ، ولذلك فسّر اسم عناة في العربية على أنها (العناية) التي تشد من أزر بعل وتناصره . وفسر اسمها بالعبرية على أنها (العنوة) أي العناية والتبصر . وترد صيغة (عت) أو (عث) للتعبير عنها ولذلك اندمجت (عت) مع (عستار) وتكون منه (عتار) وهي الإلهة السورية الأم (أترغاتيس) في عصر لاحق هو العصر الآرامي .

تظهر شخصية الإلهة عناة بصورتها الساطعة جداً في المثولوجيا والتراث الكنعانيين ، فهي إلهة حب وإلهة حرب .

ألقابها :

١ . العذراء (بتلت) : أو البتول فهي الإلهة البنت في موازاة الإله

الإبن بعل، وسليلة الإلهة الأم (عشيرة)، وصفة العذراء هذه لا تمنعها من الإنجاب. وقد تسرّبت هذه الصفة مع صفة الأم إلى شخصية مريم البتول والأم في الديانة المسيحية. وقد ورثت عناة هذا اللقب عن الإلهة عشتارة أخت أمها من الجيل السابق.

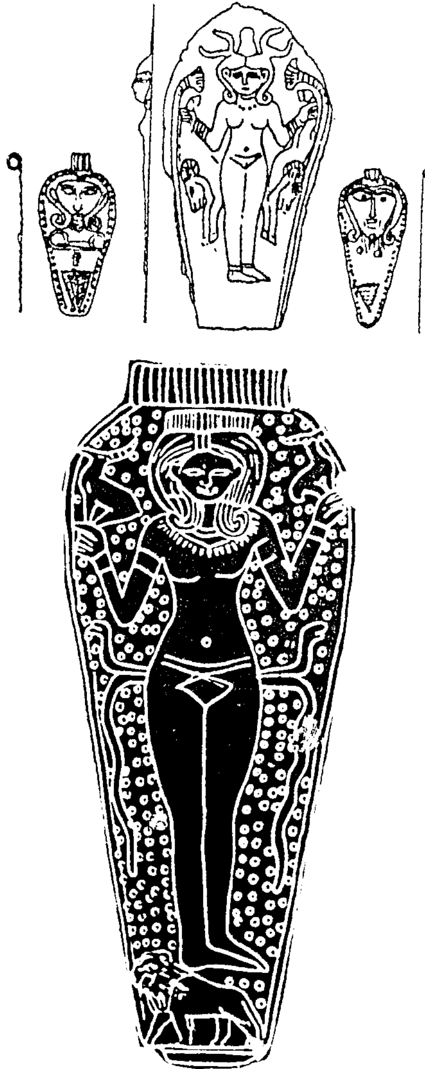
٢ . الرحيمة (رحم) : وهي صفة تعبّر عن الوجه الإيجابي والخيّر للإلهة عناة.

٣ . المنتصرة أو السعيدة (هرتي) : وهو لقب حازت عليه في أرض كنعان وفي أرض مصر.

٤ . الأرملة (يبمت) : وهو لقب يناسب حالها بعد وفاة بعل على يد موت.

أساطيرها :

تشارك عناة أغلب أساطير بعل، وتقف إلى جانبه وتؤازره في جميع أزماته ورغباته، ولكنها تنفرد بأسطورة دموية نادرة في أحد النصوص الأوغاريتية حيث تجمع من كل جهات العالم بشراً مقاتلين وجنوداً وأبطالاً ثم تقيم لهم مذبحة كأضاح وتغوص في دمائهم وتقطّع أوصالهم، وتجعل من رؤوسهم وأطرافهم قلائدَ تتزين بها، ثم تقف وتتطهر وترمي ببقية الأشلاء في البحر. وقد حيّرت هذه الأسطورة الباحثين «فمنهم من فسرها على أن القتلى هم رسل وأتباع إله الموت والجفاف ، وبعضهم الآخر وعلى رأسهم الأستاذ (دوسو) رأى حمام الدم هذا طقساً من طقوس الولادة الجديدة وتعبّر ، عن ظاهرة التضحية بالبشر التي كانت تقوم بها النساء بشكل أساسي في عصور أقدم، ولا يبتعد الأستاذ (غراي) في تفسيره للحادثة عما سبق إذ أن المذبحة التي قامت بها عناة حسب رأيه



شكل (١٣)

الإلهة عناة في صورتها الخصيبة

١. مصورة على أقراط ذهبية وحولها رموز الخصب

٢. تمسك الجداء وحولها الأفاعي وتقف على أسد



شكل (١٤)

الإلهة عناة في صورتها المحاربة (منتصف الألف الثاني ق.م)



شكل (١٥)

الإلهة عناة كملكة تجلس على العرش



شكل (١٦)

الإلهة عناة كإلهة أم ترضع أميرين كنعانيين من ثدييها

لا يمكن أن تكون بلا سبب ولمجرد إرضاء نزعة عبثية بواسطة فعل طائش ، وإنما هو طقس من طقوس العبادة الذي كان يقام سنوياً في نهاية فصل الخصب لتجديد دماء الحياة » (ادزارد ١٩٧٨:٢٣١) .

وهناك أكثر من نص يشير إلى علاقتها الجنسية بالإله (بعل) حيث تظهر مراقبة لعمل جنسي عنيف يقوم به (بعل) مع بقرة فتثأر لهذا المشهد وتتمنى أن تتحول هي إلى بقرة لتتلقى خصب الإله الثور (بعل) . وفي نص آخر يقوم (بعل) بمضاجعة (عناة) ألف مرة . . تحمل بعدها عناة وتضع وتشرف على ولادتها إلهات الولادة (كوثرات) .

أما على صعيد الملاحم الكنعانية فإن لعناة حضوراً كبيراً فيها ، ففي ملحمة أمّهات (اكخيت) تحتل عناة مكاناً مركزيا فيها ، حيث يولد لإبن كاهن الآلهة دانيل ولدٌ اسمه اكخيت الذي يعطيه الإله الصانع (كوثر) قوساً مذهلة في شكلها وجمالها على أن يكون الصيد الأول من حصة معبد الإله بعل . وتقيم الإلهة عناة وليمة يحضرها اكخيت مع قوسه فتدهش بهذا القوس وتشتعل غضباً لكي تناله فتعرض على اكخيت الفضة والذهب لكنه يرفض ، وتعرض عليه شجر لبنان وعروق الحمر الوحشية وقرون الوعول الجبلية ، وعراقيب الثيران لكنه يرفض ، حتى تعرض عليه الخلود فيرفضُ اكخيت ، وتغضب عناة وتهدده بالقتل ، وتذهب إلى إيل وتهدده وتأخذ موافقته بقتل اكخيت ، لكنها للمرة الأخيرة تعرض نفسها على اكخيت الذي لا يستجيب لها ، عند ذاك تذهب إلى (يطفن) وتقنعه بقتل أكخيت ، وتأخذ عناة شكل نسرٍ وتحمله في جيبها وتدخل بين النسور وتسقطه على أكخيت ، فيموت أكخيت وينكسر قوسه . وبموت أكخيت تجفّ الطبيعة لسبع أو ثمان سنوات (وكأن أكخيت هنا يشبه البعل) . فيحزن البعل الذي يبحث عن جثة أكخيت

مع والده دانيل ويجدها في أحشاء سامال (أم النسور) فيأخذها ويدفنها ويلعن عناة وكل من شاركها في قتل أكخيت (نبع الماء ، النبات المر ، مدينة أولوم حيث يقيم يطفن) . وبعد سبع سنوات يبكي فيها دانيل ابنه يقوم باغات بأخذ الثأر فيحاول دس السم ليطفن وعند ذاك ينقطع النص . أما حضور عناة في ملحمة كارت فضعيف حيث تقوم برضاعة ولده المسمّى (يصب) والذي يحاول انتزاع العرش من أبيه .

جيل الآلهة الذكور (إخوان بعل)

أدون

تعني كلمة أدون (السيد) وأدوني (سيدي) والاسم اليوناني له هو أدونيس . وهو شكلٌ من أشكال البعل إلاّ أن اسمه يعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد .

وكانت طقوسه تقام في أثينا ثم روما . أما في الشرق فكانت تقام له الطقوس في الاسكندرية وجبيل (بيبلوس) وانطاكية وتتضمن هذه الطقوس نمطاً مركباً من الفرح بزواجه مترافقاً مع العهر الجنسي ثم البكاء والنواح على موته ثم الفرح ببعثه .

وهناك عدة روايات لأسطورته ، الرواية اليونانية تقول أن أم أدونيس حوّلت نفسها إلى شجرةٍ عندما حملت به ثم ولدته وكان جماله باهراً فأحبته الإلهة أفروديت وأخذته طفلاً ، ثم وضعته في صندوق وأعطته لبيرسفوني إلهة العالم الأسفل وغابت طويلاً على أمل أن لا تفتح أختها الصندوق ، لكنّ برسيفوني تفتحه وترى أدونيس فيبهرها وتقرر الإحتفاظ بالصندوق . وينشب نزاعٌ بين الإلهتين فتحتكمان إلى كبير الآلهة الذي يقرر أن تتقاسماه حيث يقضي نصف السنة مع بيرسفوني ، ونصف السنة مع أفروديت .

أما الرواية القبرصية التي يرويها (لوكيان) فتجعل قبرص موطن

الأسطورة حيث أدونيس ابن الملك كثيراس ، وحين يكبر يتعرّف على ملكة قبرص بالتي (بعلة) .

لكن الرواية الفينيقية تؤكد أنه يتعرّف على عشتارته (أفروديت) فتقع في غرامه وهو في صفة الراعي أو الصيّاد ، وتثير بذلك غيرة زوجها أريس الذي يأخذ شكل الخنزير ويقتل أدونيس الراعي عند أفقا في لبنان (حيث قبره ومعبده) ، ويسيل دمه ليمتزج بنبع نهر ابراهيم ويصبغ مياهه باللون الأحمر القاني ، وقد كان هذا النهر يسمى سابقاً نهر أدونيس . وتقوم عشتارته بالذهاب إلى العالم الأسفل لتحرر عشيقها المغدور لكنّ (فرسفونه) ملكة ذلك العالم لا تسمح بعودته إلى الأرض السنة كلها بل نصف السنة لتضمن عودته الدائمة إليها .

وما زالت إلى اليوم بقايا معبد عشتارته (عستارت) الذي أُقيم عند نبع أدونيس ، وما زال هناك نصب صخري يصور مصرع أدونيس حيث يقف هذا الإله وبيده حربة منتظراً انقضاض الوحش حيث الحربة في وضع الراحة لا في وضع التأهب . . وعلى مقربة تبدو عشتارته جالسة في وضع الحزن والحداد .

ويستند جوهر الأسطورة الأدونيسية إلى الأسطورة الديموزية السومرية أو التموزية البابلية التي صارت أسطورةً مرتبطة بالخصب ، وبذر القمح وحصاده ، حيث يمثل أدونيس روح القمح التي تمثل روح النبات بعامة ، وهي طقوس ترجع في أصولها البعيدة إلى عصر اكتشاف الزراعة «ذلك أن روح القمح القديمة المتمثلة في إله لا نعرف اسمه ، بل نعرف صرخة التفجع عليه ، تلك الصرخة التي صارت بتقادم الأزمان إسماً لها ، قد خضعت لتطور بطيء وطويل . ومع هذا التطور اكتسب الآلهة أسماءً متعددة وكلها تشير إلى الإله الإبن الأخضر . فهو البعل وهو حدد وهو

أدون الذي حوّله الإغريق إلى أدونيس وهو النعمان» (السواح١٩٩٣ :٣٠٣) .

كانت طقوس الاحتفال بأعياد أدونيس واحدة في جوهرها مختلفة في مظهرها . وكانت تسمّى بصورة عامة الـ (آدونيا) وهي تسمية إغريقية لاحقة لأعياد أدونيس .

في فينيقيا كان العيد يقام في الربيع حيث يتحوّل لون مياه نهر أدونيس إلى اللون الأحمر بسبب انجراف كمية من التراب الأحمر عن الجبال بسبب الأمطار ، لكنّ الناس كانوا ينظرون أسطورياً إلى هذا الحدث فيرون أن هذا اللون ما هو إلاّ دم أدونيس الذي يقتله الخنزير البري كل عام في جبال لبنان ، وكانت شقائق النعمان الحمراء تزيد المشهد ثراءً ،حيث يقال بأنها تخضبت بلون دم أدونيس وظهرت في هذا الوقت . وكانت كلمة نعمان تعني الحبيب ، وشقائق تعني الجروح ، وهكذا يكون معنى هذه الزهور هو (جروح الحبيب) وهو ما يتفق مع بقية أسطورة أدونيس التي ترى أن عستارت حبيبته عندما هرعت إلى حبيبها المجروح وقعت قدمها على شجرة الورود البيضاء التي صارت حمراء بفعل الدم (انظر فريزر ١٩٧٩ :١٥٤) وهكذا ظهرت دماء أدونيس في مياه النهر ودماء عستارت في لون الزهور . . وشكّل هذا المشهد ما سمي بـ (جنائن أدون) أو (جنائن أدونيس) وهي حدائق قصيرة العمر كانت توصف في سوريا ومصر . . بسبب الزهور التي لا تملك جذوراً حقيقية تمكنها من العيش طويلاً ، وكانت هذه الزهور تحمل مع موكب الدمى والصور التي تمثّل الإله أدونيس وهو ميت ثم ترمى في مياه النهر أو البحر ، وكانت هذه بمثابة الأضاحي النباتية والحيوانية لطلب موسم غزير بالمطر والزرع . وترافق هذه الطقوس مسيرات من الناس النادبين رجالاً ونساءً وهم يلطمون ويبكون وينوحون مع ولولة أنغام الناي والطبول . وفي اليوم الثاني كان يتم الاحتفال ببعث

أدونيس وصعوده إلى السماء فكانت الاحتفالات القاصفة والداعرة وتقديم الفواكه والرقص الجماعي هي التي تسود ، وربما كان العكس يحصل في بعض البلدان حيث تبدأ الاحتفالات بالفرح وتنتهي بالحزن كما في آدونيا الاسكندرية .

وانتقلت هذه الآدونيات حرفياً إلى الديانة المسيحية ، فقد تطابق توقيت عيد الفصح مع الأدونيا الفينيقية الربيعية . وكانت الاحتفالات المسيحية تتم في اليوم الأول (يوم الجمعة الحزينة) بموت المسيح ، ثم ببعثه في اليوم الثالث .

وفي يوم عاشوراء عند المسلمين كان الاحتفال باستشهاد الحسين يتم باعتباره الإمام القتيل عبر طقوس الندم والبكاء وتمزيق الصدور ، وكان دم الحسين رمزاً للفداء والتضحية . أما صورة بعث الحسين فلم يكن من الممكن تصورها على الأرض ، بل كان يعبر عنها في السماء باعتبار أنه (سيد شاب أهل الجنة) .

وهكذا نرى أن عناصر الأسطورة الأدونيسية اختلطت بالواقع وحولّته معها وأنها كانت تنطلق من تضادين دائمين : الموت/الحياة ، الحزن/الفرح ، القحط/الخصب . وهي عناصر قديمة حفرت لها طرقاً متعددة في عقل الإنسان وواقعه منذ اكتشف الإنسان الزراعة .

ويجب التأكيد على أن الأسطورة الأدونية تختلف عن الأسطورة البعلية وأن الخلط بينهما غير دقيق . . لكنهما دون شك يرجعان إلى جوهر واحد .



أدونيس وعشتروت يلتقيان عند مغارة أفقا

حرون (حورون)

يمكننا التحدث عن عدة معانٍ لكلمة (حور) التي اشتق منها اسم الإله حورون أو حُرون . فـ (حور) هي حفرة أو جوف . وكان العرب يشيرون إلى كوكب جوبيتر بهذه الكلمة . وكان الطائر الصغير القصير الذنب المائل إلى الخضرة والذي كان يرتبط بالشمس يسمى (حُر) . وكان الإله المصري (حور) أو (حورس) ملك الآلهة المصرية وابن ايزيس وأوزوريس ويوصف أيضاً بأنه ابن (رع) . وهو إله الشمس وكان الصقر رمزه الأعظم .

والإله (حورون) يرتبط بالقوة والحرب والشمس ، ويعتقد أن اسمي (حوران) و (حرّان) لهما علاقة بهذا الإله . وهناك من يرى أنه إله العهود والمواثيق لأنه (لا ينطق إلاّ بالحق) كما تروي بعض النصوص ذلك .

وقد صورته مسلة شيحان في مؤاب وإلى جانبه صورة الإله حورس وقد اتخذ شكل العقاب (رمزه الشمسي) (شكل ١٧) ومن الآلهة الكنعانية التي يرتبط بها هي عناة ورشف وشلمان وملكارت وعشتارة ، أما الآلهة الرافدينية التي يبدو أنه قد حمل صفاتها فهي نرجال وننورتا . ونفهم من كل ما تقدّم أن حورون إله شمسي لا علاقة له بالخصب ، وأصبح متردداً بين العالم الأعلى كشكل من أشكال الحرارة والشمس ، والعالم الأسفل كإله للموتى والجحيم .



شكل (١٧)
إله يعتقد أنه حورون من شيحان

إشمون

كانت بيروت الموطن الأصلي للإله إشمون ثم انتقل بعدها إلى صيدا ومنها إلى قبرص وسردينيا وأفريقيا وقرطاج . وكان اسمه في صور (ياسومونو) وهو إله الطب والشفاء ، ويشير لهذا مقطع ياسو أو آسو في اسمه والذي يشير إلى الطب ، وهو ذات المقطع الذي في اسم اسكولاب إله الطب اليوناني ، حيث كان إله الطب ، السومري إسمه (ننازو) (نناسو) أي (سيد الأطباء) وكانت التفسيرات القديمة التي حاولت تفسير إسم إشمون غير دقيقة ، تلك التي قام بها فيلون ودمسكيوس على اعتبار أن إسمه يعني الثامن (شامون) معتمدين على أساس أن اسكولاب هو الابن الثامن للإله إيل من صديقة (انظر ادزارد ١٩٧٨:١٧٤) وهذا غير صحيح .

وهناك أسطورة تروى عنه . تقول أن إشمون الشاب الفتي كان في رحلة صيد فوقعت الإلهة الأم (استرونه) وهي إحدى ظواهر الإلهة عشتارة في غرامه وبدأت تلاحقه بلهفة دون هوادة ، مما اضطره لأن يخصي نفسه فيموت إثر ذلك . ولكن الإلهة تمكنت من إعادته إلى الحياة بحرارة الدفء الإلهي وجعلت منه إلهاً ، ومن هنا جاءت تسمية (إشمون) حيث أن كلمة إيش تعني النار (المرجع السابق) .

شدرافا (ساترافه)

فُسِّر إسم (شدورفا) بمعنى (شد الشافي) ، وهذا يعني أنه أحد آلهة الطب والشفاء . ويبدو أن الإله (شد) أو (شدّو) بالأكدية هو أصل هذا الإله . وقد كان متخصصاً في شفاء لسعات الثعابين والعقارب والحشرات .

ولذلك فقد كانت المنحوتات (كما يعتقد) تصوّره إلهاً شاباً مع الثعابين والعقارب . ويعتقد أن له علاقة بالإلهة (سديد) .

أول ذكر لهذا الإله جاء من عمريت في القرن الخامس قبل الميلاد .

أما أهم المدن التي عبد فيها فهي صور وصيدا وإيليس ومعد وقرطاج .

شهار وشاليم (سحر وسالم)

شهار أو شحر (سحر) هو إله نجم الصباح قبيل انبلاج الفجر (وهو يقابل موقع ايزيس إلهة الغسق) ، وشاليم (سالم ، شليم) هو إله نجم المساء الذي يظهر في الشفق قبيل غروب الشمس (وهو يقابل موقع نفتيس إلهة الشفق في مصر) . ويقابل هذين التوأمين في بلاد الرافدين الإلهة عشتار كإلهة للصباح والمساء ، وفي تدمر الإلهان (أرصو وعزّو) اللذان يسميان (ازيزوس ومونيموس) أي (عزيز ومنعم) ، ونعتقد أن شهار أصل تسمية كوكب الزهرة فكلمة سهار قريبة من زهرة ، وربما شكّلت الجذر الكنعاني للكلمة العربية (زهرة) . وقد شرحت أسطورة الغسق والشفق مولد هذين الإلهين من إيل عندما قبّل وعانق أختيه عشيرة وعشتارة فولدتا هذين الإلهين اللذين رضعا من ثدي الإلهة الأم (عشيرة) .

ملقارت (ملكارت)

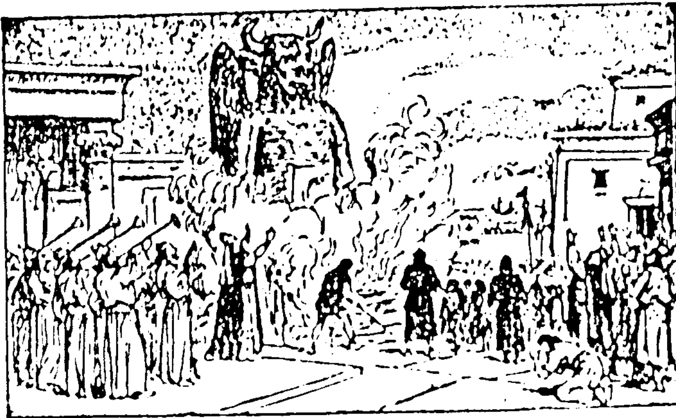
يعني اسم ملكارت (ملك المدينة) وهو الإله الرئيس لمدينة صور والإله المؤسس لمدينة (قرطاج) ، وقد انتشرت عبادة هذا الإله من مدينة صور إلى أماكن واسعة من العالم القديم مثل ثسوس وسردينيا وقبرص وصقلية والشمال الأفريقي وفيه قرطاج ، ويعتقد أنه كان يفضل المدن الساحلية أو البحرية حيث أقيمت له المعابد . وفي العصر اليوناني ظهرت في جميع المدن التي كان يعبد فيها عبادة الإله النظير له (هرقل) . وكان

ملكارت ابن الإله (دماروس) الذي جاء من لقاء اطختون إله السماء مع محظية من محظياته . وقد صوّر الإله ملكارت قبل هرقل كإلهٍ بطلٍ شابٍ يرتدي جلد الأسد كثوب له .

ويمكننا بتحليل العناصر التي رافقت آثار وأخبار وأساطير ملكارت وتحليل رموزه التوصل إلى أن ملكارت كان في الأصل إلهاً للشمس ويظهر هذا بشكل خاص في رمزي الأسد والنسر ومما يؤكد ذلك ارتباط هذا الإله بالنار والعالم السفلي ، فقد كانت النار لا تنطفىء شعلتها فوق مذابح معابده .

وكانت مدينة صور تحتفل بمهابة ووقار في شهر كانون الثاني من كل عام باحتفال سمي بـ (بعث ملكارت) . . وهو احتفال يختلف عن الاحتفالات الخصبية لمنظومة الآلهة البعلية ، فقد كان يجري على محرقة وذلك بحرق تمثال كبير للإله ملكارت لوحده أو وهو يركب حصان البحر (وهنا يجب أن نتذكّر إله البحر اليوناني ملكرتيس الذي هو ملكارت البحري) . وكان محظوراً على الغرباء حضور هذا الاحتفال الناري . وهناك إشارات إلى أن إنساناً أو كاهناً كان يحرق باعتباره الإله ملكارت . وكانت تجري طقوس تمثيلية في هذا العيد تتضمن طقوس الحرق أولاً ثم طقوس بعث ملكارت التي كانت تتمّ بحركات درامية ، حيث تستعاد أسطورة رحيل ملكارت إلى ليبيا ، وقتل الشيطان (تيفون) لملكارت وهو في طريقه إلى هناك ، حيث تتم عودته إلى الحياة عندما يقوم (إيولاوس) بوضع طائر السلوى المشويّ تحت أنفه ويبعث من موته . ويفسّر هذا عادة حرق طيور السلوى وهي حيّة في أعياد ملكارت التي كانت تضبط أوقاتها ، في غير موعدها المعروف ، عندما تعود الآلاف من هذه الطيور إلى أرض كنعان في ليلة واحدة من ليالي آذار .

وتفسّر هذه الطقوس الأصل الشمسي والناري للإله ملكارت وهو الوجه الآخر للمنظومة البعلية والمعاكس للخصب، وهكذا عبّر عن طقوسه وأساطيره بطريقة مختلفة ولكن أساس فكرة الموت والبعث ظلّت مسيطرة على هذه الطقوس والأساطير «ولعلّ الإغريق كثيراً ما راقبوا في دجى الليل ألسنة اللهيب تحرق ملكارت على كل شاطيء، وفي كلّ ميناء حيث أقام الفينيقيون متاجرهم ومصانعهم، فعلموا، وقد امتلأوا دهشةً، أن هؤلاء الغرباء العجيبين إنما يحرقون إلههم، وربما نبتت أصول أسطورة هرقل ورحلاته وموته في النار من هذه المحارق، بيد أن الإغريق لم يستعيدوا الأسطورة فحسب، بل عادة حرق الإله أيضاً: وسط اللهب على جبل أوتيا. ونظن ـ وإن لم يكن لدينا نص صريح على ذلك ـ أنهم كانوا أيضاً كل مرة يحرقون تمثالاً لهرقل في المحرقة» (فريزر ١٩٧٩:١٠٥-١٠٦) شكل (١٨)



شكل (١٨)
صورة متخيلة لطقوس النار وتقديم المحرقات البشرية للإله ملقارت

مـوت

الإله مـوت هو ابن الإله ايل من الإلهـة رحـيـا (ريّا) التي أنجبت له سبعة أبناء ذكور أشهرهم (موت) . وهو الإله الذي يقف بالضد من الإله (بعل) فهو يمثل الموت والقحط والشر والجفاف والذبول والفناء . . ولذلك أصبح موطنه العالم الأسفل الذي يسمّى في الأوغاريتية (أرض) أو (بيت الجثث) . . أما المكان الدقيق لسكنه في العالم الأسفل فهو (حمري) «ولهذه الكلمة ارتباط دون أدنى شك بالكلمة العبرية محمروت التي ترد في أسفار العهد القديم وتترجم بالنار والجمر وغمرات ـ ليسقط عليهم جمر . ليسقطوا في النار وفي غمرات فلا يقوموا . مزامير ١٤٠ :١٠ ـ ويعتقد أنها تقابل في اللغة العربية جهنم الحمراء ، ويوصف حلق الإله موت في النصوص الأوغاريتية بالمحمرة ، عندما يريد أن يبتلع الإله بعل في جوفه» (إدزارد ١٩٨٧:٢٤٣)

ويوصف شكل الإله موت بأنه هلامي طيني متفسّخ ، وأنه إذا فتح فمه فإنه سيصل من أقاصي الدنيا إلى أقاصي السماء ويلحق بلسانه نجوم السماء ، وأن شهيته لا يمكن إشباعها .

والإله موت هو إله الأمراض والأوبئة الفتاكة . وتصوره بعض الصور والمنحوتات مرتدياً تنورة قصيرة ذات نطاق علّق عليه سيف وينتعلُ حذاءً معكوفاً من الأمام ، ويحلّي جيده بعقد ، ويحمل رمحاً بيسراه ورأسه متجه نحو الأعلى . وهناك ما يقرّبه من صورة إله العالم الأسفل المصري أوزريس من خلال صولجانه وتاجه ذو القرن أو الريشة .

إن أسطورة صراع الإله بعل مع موت هي مركز الأساطير الكنعانية ، وهي تفسّر مواسم الدورات الزراعية وإيقاعها الدوري الذي يقدّر بسبع سنوات ، حيث كان الجفاف يحصل بسبب ندرة المطر كل سبع سنوات

ولذلك انعكس ذلك بوضوح في الأسطورة فحين يتحدّى الإله (موت) الإله (بعل) ويطلبه أمام مجمع الآلهة ، يستسلم الإله بعل وينزل من عليائه ومعه أمطاره وغيومه وعواصفه وبروقه ، وينزل في فم الإله موت الذي يبتلعه في أحشائه . فتجف الأشجار ويزول الخصب من الحياة فتصرخ عناة زوجة بعل وتطلب الإله موت ، وتحاول ذلك مراراً دون جدوى حتى تصل إليه وتدخل معه معركة حاسمة وتقتله وتقطعه بالسيف وتذريه بالمذراة وتشويه بالنار وتطحنه بالطاحونة وتدفنه في الحقول ، ثم تقوم بإخراج بعل من عالم الموت ويستعيد حياته ، فيعود الخصب إلى الأرض . وتستمر عملية ازدهار الأرض وقواها سبع سنوات ليعود بعدها (موت) مسترداً قواه ويدخل في صراع جديد مع الإله بعل وهكذا .

وكانت أسطورة الآلهة بعل وعناة وموت شائعة في القسم الشمالي من فينيقيا ومركزها أوغاريت . أما في القسمين الأوسط والجنوبي في فينيقيا فقد شاعت أسطورة أدونيس وعستارت . في حين شاعت أسطورة حدد في المناطق الداخلية (وليس الساحلية) من أراضي كنعان وآرام ومراكزها دمشق وحمص وحماة .

جنود

هذا الإله هو إبن الإله ايل من معاشرته للحورية أنوبرت التي ولدت له عدة أبناء منهم جنود الذي كان يضحي به صبيّاً لإله السماء شميم عندما يقع إيل في كارثةٍ أو مأزق .

جيل الإلهات الإناث (أخوات عناة)

إذا كان بعل قد مثل الجيل الذكور في إخواته ، فإن عناة مثّلت الجيل الإناث على نفس المستوى . وبرغم ذلك فقد كان هناك وظائف متخصصة لكلٍّ من الآلهة الذكور والإناث أخوة بعل وعناة وسنمر سريعاً على الإلهات من أخوات عناة :

عستارت

وهي الإلهة التي ارتبطت بالإله أدون (أدونيس) وخاضت معه قصة الحب والمأساة التي شرحناها ، ولا شك أن تسمية عستارت تسمح لها بالاختلاف مع كل الإلهات العشتاريات من جميع الأجيال (جيل ايل ، جيل بعل ، جيل أبناء بعل) . ولكنّ عستارت في حقيقة الأمر لها أسطورة واحدة معروفة مع الإله أدونيس .

وقد اندمجت في وقت لاحق عستارت مع الإلهة عناة فتكون منهما الإلهة (عترغاتس) أو (اترغاتيس) التي أصبحت بمثابة الإلهة السورية الأم الكبرى زوجة حدد . وكأن حدد جمع في شخصيته (أدونيس وبعل) واترغاتس جمعت في شخصيتها (عستارت وعناة) . وبذلك يجتمع فيهما القسوة واللين ، والتدمير والخصب .

إيلات

واسمها يعني الإلهة ، وهي الاسم المؤنث للإله إيل ، وكانت إيلات إبنة إيل تنعكس فيها صفات عستارته وعناة . وعبدت في عدة أماكن ولكن العقبة كان مكانها الأساس حيث كان اسم مدينة العقبة هو (إيلات) .

قادش

وهي القديسة أو المقدسة وتختلط صفاتها مع صفات الإلهة إيلات ، ولا أساطير خاصة بها . وقد عثر على نصب مصري تقف فيه قادش على أسد ، وتمسك بيدها زهرة لوتس وبالأخرى مجموعة أفاعي تقدمها للإله رشف مما يوضح صفتها العلاجية (شكل١٩) .

فرسفونة

وهي الأصل الكنعاني لإلهة الجحيم اليوناني (برسفونة) وكانت هذه الإلهة تسكن في ذلك المكان وتعبّر عن قيم الموت والدمار ، وعدّها الهيلنستيون الإلهة المقابلة للإلهة عستارت في خصامها مع أدونيس .

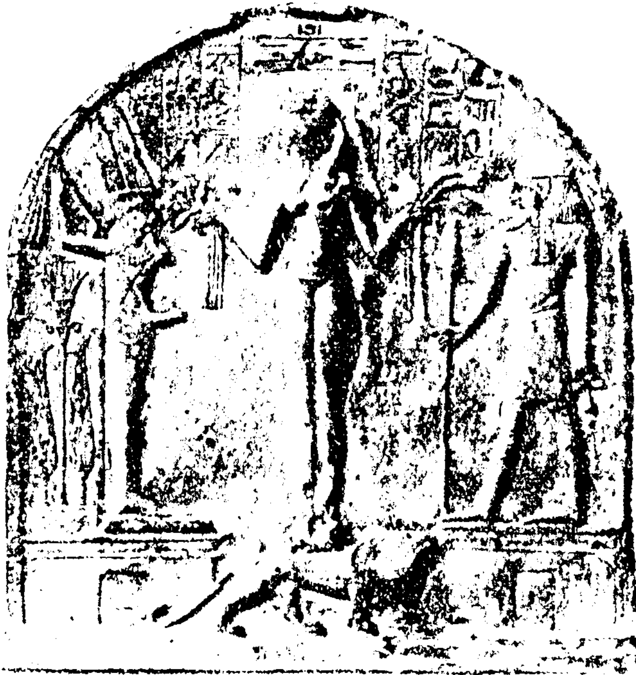
أثينا

يرى سنخنيتن أن قدموس الفينيقي أدخل عبادة أثينا من فينيقيا إلى بلاد اليونان وأقام لها مذبحاً في طيبة ، ويجسّد إسم أثينا الرطوبة والعواصف والبرق ، وكانت وظائفها متعددة فهي المهابة بين الإلهات بصفتها إلهة الحرب ، وبصفتها إلهة الفنون والسلم ، وبصفتها إلهة التفكير الحكيم ، كما كانت حامية المدن وحارسة المعابد . ولم تولد أثينا في الأساطير الإغريقية من أم ،بل خرجت من رأس زيوس بعد أن ضرب

رأسه بروميثيوس تخلصاً من صداعه ، أو أن غيمة ضربت رأس زيوس فخرجت أثينا منها . ولكن أثينا الكنعانية ولدت من الإلهة الأم عشيرة وكان أبوها هو الإله (إيل) .

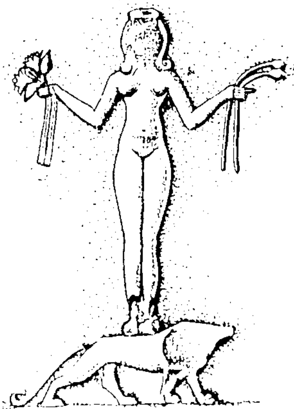
سديد

هي أخت أثينا من إيل وعشيرة ، ويحتمل أن يكون اسمها على علاقة بالإله (شدّو) وأن صفاتها ترتبط بالشفاء والطب .





تمثال برونزي من اليونان لأثينا التي تبدو وكأن ملامحها وهيأتها تشبه ملامح وهيأة عناة.



شكل (٩)

نصب مصري يوضح الإلهة قادش إلهة الخصب (حوالي ١٣٠٠ ق.م) وهي تركب أسد عشتار. وتوضح وظيفتها الاخصابية زهرة اللوتس التي تحملها بيدها اليسرى. أما يدها اليمنى فتحمل الأفاعي التي تقدمها للإله رشف.

الفصل الخامس

البعول

(أبناء وأشكال بعل)



تمثال برونزي لأحد البعول

أبناء وأشكال الإله بعل

١- أبناء بعل

حملت شخصية بعل اقنوماً مزدوجاً يكاد يكون متناقضاً ، فهو بالقدر الذي كان فيه إلهاً إيجابياً يجسد صفات الخصوبة والخير والبناء ، فإنه كان سلبياً عندما يجسد صفات القحط والشر والتدمير . فقد انقسم أبناؤه إلى نمطين من الآلهة . وكان الآلهة الذكور بمثابة الأبناء أو الأشكال له ولذلك سنتحدث عنهم على هذا الأساس .

الأبناء الذكور

يم : وهو الإلهة الأم الكنعانية الأولى (يمّو) أو (أم) التي ظهر منها جميع الآلهة . ولكن المثولوجيا الكنعانية دفنت هذه الإلهة في أعماق ذاكرتها من خلال انتصار إيل عليها ، ثم انتصار بعل . ونسي ماضيها وتحولت إلى إله يقود مياه الفوَضى ، وأحياناً تحول إلى أخ منافس لبعل أو ابن له . . وقد كشفنا عن هذه الحقيقة في الفصل الثاني . وهو يشبه الإله بوزيدون اليوناني وقد حظي الإله يم بالعبادة والطقوس وكانت تقدم له الأضاحي .

وتشير الأسطورة الكنعانية إلى أن الإله إيل وجد في يم ضالته للحد من طموحات الإله بعل في اعتلاء عرشه ، ويستثمر هذا الموقف يم فيقوم بإعلان سلطته على كل الآلهة ، ويرسل رسله لإحضار بعل المرشح للعرش موثوقاً بموافقة إيل ، لكن بعل يدافع عن نفسه ويقوم بقتل الإله يم .

وهناك مايشير إلى ارتباط يم بالإلهة عشتارة لتكون زوجةً له وتحدّ من غضبه وبطشه .

نهر : وهو شكل من أشكال الإله يم عندما يكون الأمر متعلقاً بالمياه العذبة في الأنهار ، وقد أدخله فيلون الجبيلي إلى منظومة الآلهة الكنعانية تحت اسم (نيريا) الذي أنجب ولداً اسمه بونتوس (وهو ما قابلوه مع الإله يم) ومن بونتوس ظهر في بيروت الإلهان بوزيدون وسيدوس .

وقد يكون الإله نهر من الآلهة القديمة ويشير للمياه العذبة وهو زوج الإلهة (يّمو) ، مثل تيامت وأبسو في المثولوجيا البابلية ، ولكنهما في المثولوجيا الكنعانيه أُبعدا عن مقامهما العالي هذا الى مكان فرعي بسيط .

عليّان : ويسمى أيضاً بعل عليان ، وهو إله الينابيع والآبار وإله الأنهار التي لا تجري إلاّ بشكل متقطع ، وكان مسكن عليان هو (زبول Zeboul) الذي يقع في باطن الأرض وهكذا فقد دعي الـ (بعلزبول) أو بعل أرضBa'al Ars (سيد الأرض) وهكذا تم تفسير لغز بلعز بون في ملوك الثاني ١ ، ٢ وهو تحريف تعمده المشوريون لبعل زبول والذي حفظ العهد الجديد تسميته الصحيحة (انظر دوسو ١٩٩٦ : ٣٩) .

يو (باو) : وقد يلفظ (ياوي) ، ويدخل اسم هذا الإله في أسماء الأشخاص . وقد وجدت نصوص عديده ترجح أن تكون قراءته من خلال يم (يام) (يامي) ، وهناك بعض الباحثين من ربط اسم هذا الإله بالإله (يهوا) ولكن ذلك مستبعد تماماً .

رشف : واسمه يعني الوباء أو النار ويشير إلى المشاعل ولظى الحب الذي لا ينطفيء والبرق والنبال . وكان يستخدم مع نسب حيواني للدلالة على القتال والحرب ، فهناك مثلاِ (رشف الطيور) وهناك (رشف التيوس)

و(رشف الغزال) وتصف بعض الكتابات الفينقية هذا الإله بـ (رشف الصاعقة) و(رشف القوس) . وقد تسلل هذا الإله إلى الآلهة المصرية وعبد هناك .

وتظهر صورته في أحد الأنصاب مرتدياً تنورة قصيرة مزخرفة بشراريب عند حوافها مثبتة بواسطة حمالات متصالبة على الكتف ، يعتمر تاجاً مخروطياً مرصعاً بشعار على شكل غزال ، ويبدو الإله متهيئاً للقتال إذ انه يحمل ترساً ورمحاً في يده اليسرى وفأساً مرفوعةً في اليد اليمنى (انظر ادزارد ١٩٧٨: ٢١٥) شكل (٢٠)

وقد سميت خرائب أرسوف Arsouf على اسمه (وهي أبولونيا القديمة) .



شكل (٢٠)
الإله رشف من مجدو / حوالي ١٥٠٠ – ١٢٠٠ق.م

بعلزبوب : وهو اسم مركب أصله (بعل زبوب) ويعني (بعل ذباب) وهو (سيد الذباب) فهو إله الذباب الذي يأخذ صفة إله الأمراض لأن الذباب ينقلها . وهو إله من آلهة العالم الأسفل لأن الذباب كان يرمز للإله نرگال إله العالم الأسفل الرافديني ، وقد ورد ذكر هذا الإله في التوراة .

يرح : وهو إله القمر الكنعاني والسامي العربي بصفة عامة ، فقد كان إله القمر يلقب بالإله يرخ ، وقد ارتبط التوقيت والتاريخ بالقمر لأنه مقياس الزمن بسبب تغير شكله في كل يوم خلال الشهر القمري . ولم يلعب هذا الإله دوراً مهماً في الأساطير وهناك إلهة أنثى للقمر عند الكنعانيين هي نيگال .

وتعتبر مدينة أريحا مدينة قديمة لعبادة القمر ، ويدل اسمها على ذلك . ونرى أن يرح إله كنعاني قديم كان يحظى بمكانة مهمة في جيل إيل ، ولكن عبادة الكواكب أُهملت في أرض كنعان وسادت عبادة الخصب ، ولذلك تنحّى هذا الإله وأصبح ثانوياً وخاصاً بحراسة القطعان وحماية الرعاة وليس من المؤكد أنه إبَن للإله بعل .

حمون : يعتقد أن هذ الإله له علاقة بالنار ، وقد فسّر اسمه على أنه (سيد المباخر) لأنه كان إله أضاحي . وانتشرت عبادته من فينقيا إلى قرطاج ومنها إلى مالطة وصقلية وسردينيا . وكان يسمى أيضاً بعل - حمّون . وربما كان من أصل حوري . ولكنه عبد في تدمر . وكان هناك من يقارب بينه وين (امون) الإله المصري لأنهما حملاَ رأس كبش وقورن أيضا« بـ (كرونوس) في اليونانيه و(ساتورن) أو جوبيتر في اللاتينية . وكان يوصف أحياناً كإله للخصب في قرطاج ، وكإله للجنس في سمأل .

مولوج (مولوج ، مويج)

يخلط الكثيرون بين هذا الإله والإله (ملكوم) إله العمونيين أو الإله ملكارت إله صور وصيدا . وحقيقة الأمر أن هذ الإله إله مستقل وقد وكان يحب الأضاحي وربما كان إلهاً للأضاحي ، وقد عبد في أرض كنعان وعبد في قرطاج . «ويقول كاتب روماني يوجد في قرطاجنّة تمثال برونزي لإله باسطاً ذراعيه ويحمل أطفالاً بحيث يسقطون في النار تحته . ولكن رقم رأس شمرة لا تشير إلى وجود تضحية الأطفال ، والنظرة الحالية الى مولوج أو مويج ترى بأنه لم يكن إلهاً ولكن الكلمة هي مصطلح لطقوس بدائية كنعانية ، وعندما قال يهوذا لابراهيم خذ إبنك اسحاق الذي تحبه واذهب إلى أرض موريا وقدّمه قرباناً على الجبل الذي سأخبرك باسمه ، ولكن ابن إبراهيم لم يمر بالتجربة إذ قدّم الله له حملاً بدلاً عن إبنه . وتمثلت التضحية الكبرى عند المسيحية في صلب المسيح (حمل الله) وهذه الطقوس بدأت في كنعان » **(كورتل ١٩٩٣ : ٥٢)**

وقد ذكر هذا الإله في نصوص لاتينية في الجزائر ، وشوّهت التوراة ذكره وربطت التضحية بالأطفال به .

صيد

وهو إله الصيد في كنعان وقرطاج ، وقد ورد ذكر اسمه المذكر صيدياتون : الإله صيد يعطي . وله اسم مؤنث بمعنى الإلهة صيد تعطي . وهو مظهر من المظاهر الحربية للإله بعل .

عثتار (عثار)

لايلعب هذا الإله دوراً هاماً في المثولوجيا الكنعانية فقد عجز إبن الإله بعل هذا عن القيام بدور أبيه بعد أن قتل بعل في معركته مع موت . فحصل إبنه (عثتار) على لقب البطل والمتعالي ، ولكنه ما أن وضع على

عرش أبيه بعل حتى ظهر صغر حجمه (بسبب صغر سنه) فلم تصل قدماه الأرض ولم يلامس رأسه سقف المظلة التي على العرش .

كان عثتار في بلاد كنعان يرمز إلى نجم الصباح .. ولكنه في حقيقة الأمر بعد أن عجز عن وراثة مكانة أبيه المساوية اقتصر نشاطه على الأرض كإله للري والسقي والتقنية . وفي العربية مازلنا نسمي الأرض المروية بواسطة السماء الأرض البعلية ، والمروية بواسطة الري الأرض العثور . انتشرت عبادته في أرض مؤاب تحت اسم كودوج (عشتار - كوموش) . وكان عثتار إلهاً ضعيف الطقوس ، وقد ذكر في الأساطير وسيطاً في زواج الإلهين (يرح) و(نيكال) إلها القمر (انظر ادزارد ١٩٧٨: ٢٢٢) وتذكر النصوص الاوغاريتيه أن للإله عثتار ابناً اسمه (يابارداماي)لا نعرف وظيفته .

كوثار (كوثر)

ويسمى أيضاً (كوشر ، كوشور) ويعتقد أنه الإله (خوسور) الذي ذكره سانخينتون ، وهو الإله الصانع الذي اكتشف الحديد والفن وكان يستعمل السحر والتعاويذ ، ثم اخترع أدوات الصيد البحري ، وهو أول من جاب البحر بواسطة القارب واخوته هم الذين اكتشفوا صناعة الطوب وطريقة البناء به ، وهو يقابل الإله المصري (بتاح) واليوناني (هفاستيوس) والروماني (فولكان) .

ومن أعمال كوثر أنه بنى قصر الإله بعل الجميل وصنع أثاثه المنزلي وكسا جدرانه بصفائح الذهب والفضة ، وهو الذي كان يصنع الأسلحة السحرية ويجهز بها الإله بعل في صراعه مع (يم) ، وهو الذي صمم شكل القوس للبطل أكخات وذهب ضحيته بسبب طمع عناة في امتلاكه .

وهناك أسم شارك كوثر في الأساطير يعتقد أنه تصحيف آخر لأسم كوثر ، فإذا كان خوسور قد ذكر على أنه كوثر ، فإن هذا الاسم قريب من الكلمةالأكدية (حاساسو) التي تعني الذكي . ويذكر فيلون اسم إله يدعى (أوسوس) يقول عنه أنه أول من استخدم جلود الحيوانات كلباس للجسم وأول من استخدم جذع شجرة كقارب . ويعتقد أن هذا الإله هو نفسه (حاسيس / حاساسو) (**انظر ادزارد ١٩٨٧: ٢٤٠**) .

وقد تحول أسم كوثر في قبر بتأثير اللغة اليونانية إلى كينيراس ، وهو حسب اعتقادهم والد الإله أدونيس ، وهو الذي عرف كيف يبني الخيام ويؤسس علم السحر والموسيقى ، ولكن لم نعثر في نصوص أوغاريت على صفة من هذه الصفات للإله كوثار ، ويظن بعضهم أن الآلة الموسيقية (قيثارة) من الأصل اليوناني (كيتاريس) الذي يتضمن أسم الإله (كوثار) (**انظر المرجع السابق: ٢٤١**) .

وهناك نصوص أوغاريتية تذكر أن أب الإله كوثار هو (خالانو) ، ومن المشكوك فيه أن يكون أب هذا الإله هو بعل .

٢- أشكال بعل

لا يمكننا التمييز كليّاً بين أبناء واشكال بعل لأن هناك تداخلاً واضحاً بين شخصية البعل وتمظهراته الكثيرة وأبنائه . فقد تحول الإله بعل إلى الإله القومي الشامل للكنعانيين ، واخذت كل قبيلة أو مدينة أو فئة من الكنعانيين أسماً أو شكلاً أو مظهراً له وعبدته . وكان ذلك الإجراء نوعاً من حفظ هوية كل فئةٍ قومية داخل الأرض الكنعانية ، ولذلك نجد أن أشكال وأبناء البعل تقعٍ على قمة الهياكل الإلهية والبانثيونات . ويمكننا من حيث المبدأ تصنيف أشكال بعل إلى نوعين : الأول يتضمن بعول المدن . والثاني بعول الطبيعة والصفات .

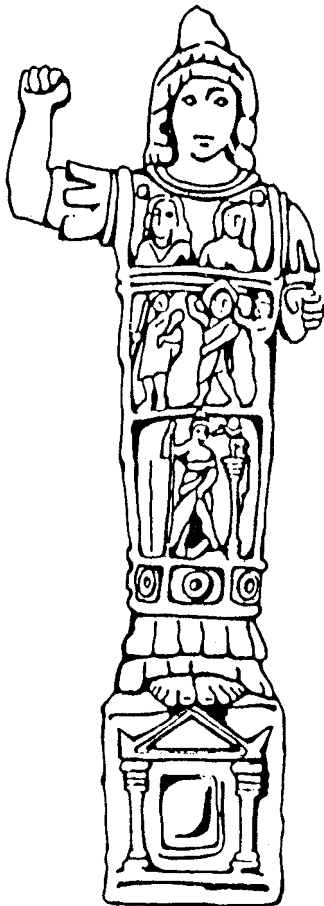
بعول المدن

١- **بعل بقاع:** وهو إله مدينة بعلبك ، وقد سميت هذه المدينة باسمه ، وكان هذا الإله أصلاً إله طقس ، ثم تحول إلى إله السهول الواقعة بين جبال لبنان الشرقية والغربية ، الاّ أنه تحوّل إلى إله سماوي في العصر الهيليني منذ القرن الثالث ميلادي ، حيث أصبحت مدينة بعلبك تعرف بالاسم الهيليني هليو بوليس أي مدينة الشمس ، وهذا يعني أن بعل بقاع أصبح إله الشمس في العصر الهيليني .

وتشير تماثيله وصوره إلى وظائفه المتتالية التي مرّ بها فهو يحمل رمز الصاعقة كإله طقسي ويجلسُ بين ثورين ويحمل سنابل القمح كإلهٍ خصبي ويمسك سوطاً في يديه ويرافقه الثعبان والنسر كإلهٍ شمسي . شكل (٢١) .

٢- **بعل كرم اللوز (بعل كرمل)**: وهو إله جبل الكرمل الذي خاض صراعاً مع إله بني اسرائيل (يهوا) ذكره العهد القديم (انظر سفر الملوك الأول ١٨ :١٩-٤٠) .





شكل (٢١)

الإله بعل بقاع

١- صورته المحلية (بعلبك)

٢- صورته الرومانية (جوبتر هليو بوليتانوس)



شكل (٢٢)
بعل دوليخ (جوبتر دولخينوس)

وبسبب من كونه إلهاً لجبلٍ أو منطقة جبلية فقد اقتصر معبده على وجود مذبح (على طريقة المعلّيات الكنعانية) دون هيكل . وقد استمرت عبادته حتى القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد .

٣- **بعل دوليخ:** وهو إله مدينة دوليخ أو دوليخي القديمة الواقعة في الشمال السوري البعيدة عن حلب بحوالي ١٠٠كم ، وهي الآن ضمن الأراضي التركية . وكان له لقبان الأول عربي هو (عزيز) والذي يطابقه مع الإله الصحراوي (عزيزو) ، والثاني روماني هو (جوبيتر دولخينوس Jupiter Dolichenus ، وقد كان بعل دوليخ يمثل إلهاً حورياً - حيثياً للعاصفة والخصب ، ثم أصبح إلهاً للجنود ثم أصبح إلهاً سماوياً ويشير إلى النصر والسلام ، وكان يرتدي عادة لباساً عسكرياً رومانياً ويقف على ثور حاملاً صاعقة وفأساً مزدوجة . وكان له رفيقة أنثى تعبد معه . شكل (٢٢)

٤- **بعل لبنان:** وهو إله لبنان أو جبل لبنان . وله صفات مشابهة لمجمل بعول المدن .

٥- **بعل صفون:** وهو بعل القسم الشمالي من لبنان ، وهناك من يرى أن بعل صفون أو صفون هو أصل نشوء فكرة الإله بعل وشيوعه فهو يظهر في هذا المكان قديماً ومعبراً عن طبيعة المكان ، كما أنه يدفن فيه من قبل عناة بعد أن يقتله الإله موت .

٦- **بعل بعور:** وله اسمان آخران هما (بعل فخور) و (بعل معون) وهو إله مؤابي يتصف بصفتين هما فغر الفم (فتح الفم) والقسوة والجفاف ، والكلمة بور جمعت في تكوينها معنى الخصب والجفاف لأنها يمكن أن تدل على الأرض البور وهكذا حمل بعل المؤابي منذ البداية وجهي الخصوبة والجفاف ، ويتناسب هذا مع طبيعة أرض مؤاب الصحراوية والخصبة في آن (**انظر الماجدي ١٩٨٧:١٥١**) .

٧- **بعل صور.**

٨- **بعل دمشق.**

بعول الطبيعة والصفات

١- **بعل شمين (بعلشميم):** وهو إله السماء ، جاء ذكره في أوائل القرن الرابع عشر ق.م وحتى الفترة الهيلنستية . وكان يلقب بـ (السماء) و (سيد السماء الأبدي) ، وعند التدمريين (سيد الأبدية) والذين كانوا يقابلونه مع زيوس حامل الصاعقة . وعبده الانباط أيضاً . وكان يعبد في قبرص وسردينيا وقرطاج وصور وإديسا ودورا وفي شمال وادي الرافدين وكان يقابل بزيوس وأحياناً بأنو إله السماء .

٢- **بعل أدير:** وهو بعل القدير ، ورد ذكر لأول في القرن الخامس قبل الميلاد وكان أحد آلهة جبيل ، وانتقل إلى شمال أفريقيا وخصوصاً في (سياجو) على أنه الإله الأب وبعل أدير أغسطوس وكان يذكر في النصوص البونية مقابلاً لجوبتر فالنز الذي كان إله الجنود (انظر ادزارد ١٩٧٨: ٢٠١) .

٣- **بعل قرنيم:** ويعني سيد القرنين أي قمتي جبل ، ولم يزل هذا الجبل محافظاً على اسمه القديم (جبل بو قرنين) عند خليج تونس وهو إله كهنوتي كان يشرف على تخريج الكهنة ، وكان يقابل مع (ساتورن) و (زيوس) .

٤- **بعل مرقُد:** ويعني سيد الرقص ، وكان له معبد في دير القلعة قرب بيروت ونبع يشفي من الأمراض ، وكان اسمه يكتب باليونانية واللاتينية على شكل (بلمركوس) أي بعل مرقص وهو يساوي الإله جوبتر وزوجاً لإلهة تدعى (يونو) . ويرى فيه أحد الباحثين شكلاً من أشكال الإله (جوبتر هليو بوليتانوس) . وقد نقل الجنود الرومان عبادته إلى روما . (انظر ادزارد ١٩٨٧: ٢٠٤) .

٥- **ملك بعل (ملكبل):** وهو إله الشمس الذي يطابق مع الإله شفتش .

٦- **عجل بعل (اغليبل):** وهو إله القمر الذي يطابق مع الإله يرح (شكل ٢٣) .

٧- **بعل بريت:** وهو إله العهود والمواثيق .

٨- **اليجابيل:** وهو إله الجبل ثم أصبح إله الشمس ، ونعتقد أن أصل هذا الإله سومري ، فهو يرد في أسطورة نزول إنليل وننليل إلى العالم

الأسفل حيث يولد هذا الإله ويطابق مع الإله نرگال الذي كانت له صفة شمسية معروفة ، لكن هذا الإله لعب دوراً خطيراً في نهاية القرن الثاني الميلادي فقد صار هذا الإله الحمصي إلهاً كونياً عبّر عن التوحيد السوري في هذه المرحلة بعـد أن ظهـرت الأسـرة السـورية في سلسلة الأسـرات الامبراطورية الرومانية بتولي سبتيموس سيفيروس الامبراطورية مع زوجته جوليا دومنه إبنة كاهن هذا الإله (**انظر التهايم ١٩٩٠:٥٧**)



شكل (٢٣)
عجل بعل (أغليبل)

بنات بعل

لبعل بنات كثيرات تختلط أحياناً بآلهة قديمة ، وتنسب له في كثير من الأحيان إلهات لسن من صلبه .

ورغم ان الإلهات الثلاثة اللائي يرد ذكرهن كثيراً على أنهنّ بناته

(أرساي إلهة الأرض ، بدراي إلهة نور البدر ، طلاّي إلهة الندى) ، لكن بعض النصوص الاوغاريتية ترجع بعضهن إلى الإله (يعبدر) وهو إله غير معروف .

أما الإلهات الثلاث الاخريات فهن :

كوثرات: وهنّ إلهات الحمل والولادة .

شبش (شفش): وهي الهة الشمس التي لها بنت من إله السماء اسمها باخلات وهي إلهة الحجر وعيون الماء .

نيكال: وهي الإلهة الانثى للقمر والتي تزوجت من إله القمر يرح . وهناك نصوص أوغاريتية ترى أن اسم أبيها هو (حارحابي) وليس بعل .

وفي جميع الأحوال حملت بنات البعل صفات البعل المؤنثة أو صفات امهنّ عناة .

* * * *

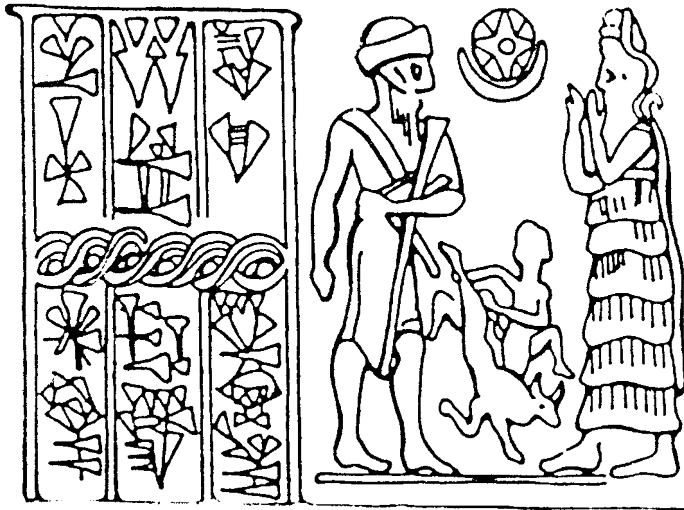
في العصر الآرامي ظهرت صورة جديدة للبعل وعناة تمثلت في الإله بعل حدد وزوجته عتار (أترغايتس) اللذين عبدا في سوريا بشكل خاص بحيث سمي بعل حدد الإله السوري وأترغايتس الإلهة السورية . ويشكل تجديد الإلهين الآراميين هذا آخر صفحات تاريخ البعل وعناة قبل أن يظهر في شكل توحيدي مختلف تماماً هو المسيح ومريم . وسنناقش هذه المرحلة الأخيرة .

بعل حدد

لا يمثل بعل حدد إبناً للبعل أو شكلاً من أشكاله فحسب ، بل هو البعل ذاته . وحين كان يقال بعل لوحدها أو حدد لوحده أو بشكلهما

المزدوج (بعل حدد) فإن ذلك لا يؤثر على الإله المعني فهو ذاته في جميع الأحوال . رغم أن تسمية (بعل حدد) الآرامية جاءت متأخرة .

لكننا يجب أن نتحرى عن هذا الإله المزدوج ومن أين جاء كلُّ شقٍ فيه . والثابت أن الإله أدد أو حدد هو إله أكدي شكّل استمراراً للإله اشكور السومري الذي كان إله الطقس والرعد والبرق . وفي فترةٍ لاحقة ترد تسمية مزدوجة هي (أشكور - أدو) كأسم مركب من اسمين أكدي وسومري لإله العاصفة وقد عثر على ختم أسطواني من تل الرماح في العراق من القرن الثامن عشر حيث يذكر النص المسماري المرافق له هذا الأسم (شكل ٢٤) .



شكل (٢٤)
الإله (أشكور - أدوّ)
ختم اسطواني من تل الرماح في القرن ١٨ ق.م



شكل (٢٥)
إله العاصفة (حدد) في إبلا ووراءه الإلهة السومرية، وأمامه أبن ملك إبلا (انديلمغور) (الفترة الرابعة من تاريخ إبلا).

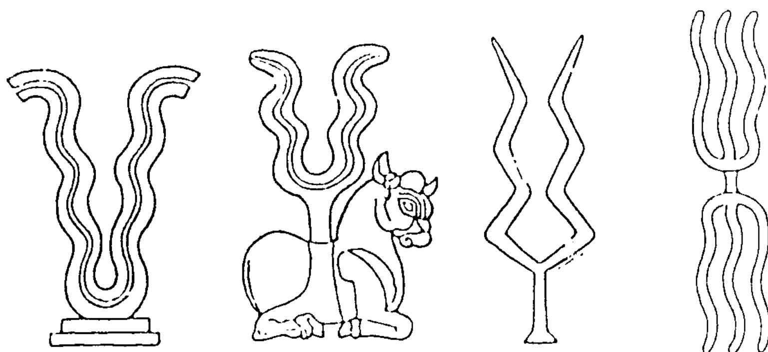
إن الاشارة الاسبق في ذلك لهذا الإله تأتي من الكتابة المسمارية التي تعرّف به والتي هي (دنجر - إم) أي (إله الريح)، ويعرف باسمه السامي الاكدي (أدد، أدّا، أدّو) ثم حدد بالإبلائية والاوغاريتية والآرامية.

وكان إشكور السومري وأدد الأكدي إبني الالهين (آن وإنانا/ عشتار) وكانت قرينته شالا أو شلش إلهة النار.

وهكذا جمع أدد في شخصيته الريح والنار والسماء والمطر. ولذلك كان يظهر دائماً وهو يحمل الصاعقة في يديه ويطارد بها التنين (شكل ٢٦). وقد بدأت رموزه تظهر منذ وقت مبكر في وادي الرافدين على شكل صاعقةٍ مزدوجة أو صاعقة شوكية، أو صاعقة يحملها ثور أو صاعقة رحمية الشكل (شكل٢٧).



شكل (٢٦)
رسم لنحت جداري من نمرود يمثل الإله أدد وهو يطارد التنين



شكل (٢٧)
رموز الإله أدد

وفي العصر الآشوري احتلّ الإله أدد مكانة عظيمة في البانثيون الآشوري وبدأ اقترانه مع الإله آنو إله السماء ثم الإله القومي الآشوري آشور الذي كان يقابل الإله القومي البابلي مردوخ والملقب بـ (بعل) . . ولكن وظائف كلّ من هذه الآلهة ظلت مستقلةً إلى حد ما .

انتقلت عبادة أدد إلى سوريا منذ الألف الثالث قبل الميلاد وخصوصاً في حضارة إبلا . وأصبح أدد ، بالاضافة إلى شكله الهوائي العاصف ، شيئاً فشيئاً أحد آلهة الطقس المؤثرين في الزراعة . ومن هذا المنفذ تحوّل إلى إلهٍ للخصب . وكان الإله بعل حدد إلهاً واحداً واحتلّ مكانة عاليةً وعظيمة تحت هذا الأسم .

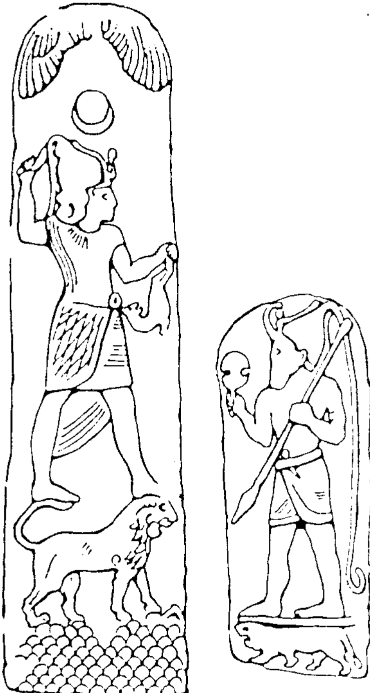
ونحنُ نرى أن بعل هنا ليس لقباً بمعنى السيد أو المالك بل هو الإله بعل بعينه مع التأكيد على صفاته الطقسية وجعله إلهاً شاملاً للعاصفة والخصب معاً .

وإذا كان قد تمّ التعبير عن هذه العلاقة المزدوجة منذ ظهور الثقافة والديانة الآرامية بشكل خاص الاّ أن المرحلة السورية ثم السورية الهيلنستية هي التي كرست الأسم المزدوج (بعل حدد) ، حيث تمت مقابلته بـ (زوس) و (جوبتر) باعتبارهما إلهي عاصفة وخصبٍ أيضاً . ويظهر بعل مع حيوانه المقدس (الثور) أو حيوان زوجته المقدس (الأسد) (شكل ٢٨، ٢٩) . وفي رأينا أن ظهور الإله عالمياً يشكل بذرة التوحيد المطلق . ولكن منطقة كنعان كما هو معروف (أي أرض الشام بعامة) شهدت ظهور أقوام كنعانية / عمورية/ آرامية عديدة وأقوام أخرى ، ولذلك ظهر البعل بعدة صور (جميعها تحمل الصورة المزدوجة له كإله عاصفة



شكل (٢٨)

الإله بعل حدد وهو يعتلي حيوانه المقدس (الثور)، يحمل في الصورة الاولى صاعقة مثلثة الشعاب (قرب حلب)، ويحمل في الصورة الثانية صاعقتين مزدوجتين (ارسلان طاش).



شكل (٢٩)

الإله بعل حدد وهو يعتلي حيوان زوجته (عناة) الصورة الأولى يحمل رمحا واداةً. والصورة الثانية يحمل جديا أو شبلاً. وأسده يقف على جبل العالم الاسفل. وفوقه الشمس والقمر.

وخصبٍ أو كإله قوةٍ ولين في الوقت نفسه ، فقد ظهر الإله رمان أو رمّانو أو رحمانو كإله لدمشق في سورياً معبراً عن الإله بعل ، وكان معنى رمّان Ramman (الراعد) وله هيكل في دمشق وكان يسمى أحياناً حدد رمّان .

أما ميكال Mikal فكان إله البرق والرعد الكنعاني ، وكان يُطابق أحياناً مع الإله رشف . وقد احتفظت به المثولوجيا الاسلامية تحت اسم الملاك (ميكائيل) أحد ملائكة العرش الأربع وبنفس وظيفته الجوّية والطقسية .

وكان هذا الإله يقابل في المثولوجيا اليونانية الإله (أبو لون) و (اميكلوس) وله معبد منفصل عن رشف في مدينة كيتيون ، ووصفته بعض الكتابات المصرية على أنه إله بيسان ورأى فيه ألبرايت إلهاً للطاعون والأوبئة .

أما الصورة العبرية لإله العاصفة والخصب فكانت متمثلة بالإله (يهوا) وهو الإله القومي لبني اسرائيل ، لأن كل صفات (يهوا) في العهد القديم كانت تشير إلى أنه إله الهواء العاصف ، وأسمه يدل عليه . وكان هذا الإله صورة من صور الإله بعل حدد ، لكنّ اليهود تمسكوا به وادعّوا أنه الإله الخالق (رغم أنهم سقطوا لمرات عديدة في عبادة البعل وغيره) .

والصورة العمونية للإله بعل ظهرت في الإله ملكوم وهو الإله القومي لهم ومعنى اسمه (الملك) . وكان هذا الإله طقسياً أيضاً بالإضافة إلى وظيفته الخصبية وحبّه للأضاحي . ونرى أن التوراة شوّهت صورته عندما وصفته بالرجس لأن سليمان وقع في عبادته وبنى له معبداً في جبل الزيتون وعبده مع الإلهة عشتارة والإله كموش (انظر سفر الملوك الأول

٣٣:٧,٥:١١) ، وقد سرق داود تاجه في إحدى غزواته ووضعه على رأسه وهكذا . .

أما الصورة المؤابية للإله بعل فكانت في الإله كموش وهو الإله القومي للمؤابيين الذي تمتد جذوره إلي الإله (بعل بعور) ، لكنه يتصلب مع مرور ويتحول إلى إله قاسٍ يعبّر عن الشمس والموت والقوة ، وتذكره مسلة ميشع محرضاً على استعادة مدن مؤاب من ملك اسرائيل وكيف أنه فعل ذلك وقدّم موقد يهوا إلى الإله كموش . ويبدو أن لهذا الإله علاقة بالنار والشمس والجفاف . وكان يقرن بالإله أريس المحارب .

أما صورته الأدومية فكانت تظهر في الإله قوس وهو إله طقسي مرتبط بالجو والمطر حيث يمثل (قوس قزح) الرامي «الذي كانت نباله البروق وكان قوسه قوس قزح . فقد كان إله الجبال والبرق والرعد والمطر ، وكان العرب يحافظون على عبادته بقرب مكة ، فهو يقابل حدد إله المطر عند السوريين وريشب إله الحرب عند البابليين ، وصفة قزح توافق الالهة التي كانت تمثل وظيفة إله الحرب مثل أبولو الاغريقي» (خان ١٩٨١:١٤١) .

وصورته النبطية تمثلت أولاً في الإله (هبل أو هبلو) وهو ذاته الإله بعل أو بل بعد أن دخلت عليه (هـ) التي هي أل التعريف النبطية . وكان يسمى أحياناً (هبعل) الذي نرجّح أنه قدم من مؤاب ثم انحدر إلى اللحيانيين ثم إلى قريش حيث أصبح فيها كبير الالهة .

ولكن الصورة النبطية المتكاملة للإله المزدوج (بعل حدد) عند الأنباط ظهرت في منحوتات حدد الصخرية (شكل٣٠) .





شكل (٣٠)
تمثالان منحوتان للإله حدد في صورته النبطية

الإلهة عتار (أتارغايتس، دركيتو)

هذه الإلهة هي امتداد للإلهات العشتاريات في الشام القديم، لكنها حصراً زوجة الإله بعل حدد، وكانت تسمى الإلهة السورية الأم الكبرى. واسمها الحقيقي هو عته (Atte) أو عتار Attar والتي جعل منها اليونان أترغايتس التي صُحِّفت أكثر وسميت دركيتو.

وكانت مدينة منبج السورية من أشهر مراكز عبادة بعل حدد في الفترة الهلنستية. وأسمها بالأغريقية (هيرابوليس) الذي يعني (المدينة المقدسة) وقد عبدت عتار فيها بل انها فاقت البعل في المرحلة الرومانية،

ويبدو أن جذر الأسم منبج من (نبج أو نبع) نسبة لمصدر مياه فيها ارتبط بعبادة الإلهين ، وكانت الأسماك التي في بركتها مقدسة للإلهة ومحرم صيدها (انظر حداد ١٩٩٣: ١٣٢) . ويصف لوقيانوس السمساطي تمثال هذه الإلهة في مدينة منبج واقفة على مجموعة أسود وهي «تمسك بإحدى يديها صولجاناً وبالأخرى مغزلاً . وتحمل على رأسها أقراص عسل وبرجاً وعصابة الرأس لتي تزين بها أفروديت سماوية وحدها . وقد غطى سطح التمثال الخارجي بالذهب وبالحجارة الكريمة التي لا تقدر بثمن ومنها الأبيض اللون ، ومنها مائي اللون . ولعدد كبير منها لون الخمر وليست أقل منها تلك التي بلون النار» (السمساطي ١٩٩٢:٤٤) .

أما تمثال بعل حدد فيقف على ثورين . وبين تمثال بعل حدد وأترغاتيس هناك تمثال ثالث يقول عنه السمساطي أنه من الذهب ويسميه السوريون بـ (الرمز) ويعزوه بعضهم إلى ديونيسيوس وبعضهم لدوكاليون وآخرون لسمير أميس . وفي الواقع ، ثمة حمامة ذهبية تحط على رأسه مما بعث على القول أنه كان رمزاً لسمير أميس ، وهم ينزلون به حتى البحر مرتين في السنة وذلك عندما يسعون لجلب الماء منه (انظر المرجع السابق:٤٥) وحقيقة الأمر أن هذا التمثال أثار اهتماماً واسعاً بين الباحثين وحاولوا معرفة هويته دون الوصول إلى نتائج حاسمة ، لكننا نرى أن ما قاله السمساطي دقيق للغاية فهو يمثل سمير أميس ، ولكننا نضيف إلى أن بعل حدد أنجب من أتارغاتيس إبناً اسمه (سميون) أو (سيميوس) كان إلهاً للبحر ، ولذلك ارتبطت طقوس إنزال التمثال بالبحر . ثم ان للإلهة أتارغاتيس أسطورة معروفة وردت على لسان ديودوروس الصقلي تحمل بعض الإرباك في اسمائها فهي تذكر أن الإلهة عشقت شاباً جميلاً هو سميوس (الذي هو من المفروض اسمٌ لإبنها) وحصلت منه على ابنه هي

سمير أميس ، وبسبب خجلها من هذا الحب فإنها تغرق الشاب وتترك الفتاة في الصحراء حيث يغذيها الحمام ، ثم تلقي الإلهة نفسها في بحيرة قرب عسقلان متحولة إلي سمكةٍ .

وهناك ما يشير إلى أن لأترغايتس من الإله بعل حدد إبنه اسمها سيميا (Simia) التي يقال أنها أصل سمير أميس (ومعنى أسمها محبوبة الحمام) . وهذا يعني أن هناك إبنين متقاربين بالأسم هما (سيميون) و (سيميا) ويمكن أن يكونا قد اتحدا في شكل ابن واحد مثّله ذلك التمثال وجمع بين صفاتهما بدليل أن السمساطي يذكر رمزي البحر والحمامة ، وهما رمزا الإبنين ، وإذا كانت منبج أول مدينة تظهر فيها أترغايتس ، فإن أسطورة ولادة سمير أميس جعلت من عسقلان المدينة الثانية لها .

وفي هذه المدينة يظهر إبنها الإله سيميون تحت اسم آخر هو إيختيس . وهناك من يرى أن هذا الإله الثالث هو أتيس .

وبشكل عام يشكل ثالوث (بعل - أتراغايتس - سيميوس/ سيميا) اقنوماً رومانياً هو / جوبتر - فينوس - مركور) الذي يشير فلكياً إلى (المشتري- الزهرة - عطارد) .

لقد بدأت الإلهة السورية (اترغايتس) إلهة حامية قديمة لإحدى القبائل ثم تحولت تدريجياً إلى إلهة كبرى للطبيعة ، ووحدت مع مبدأ الرطوبة والخصوبة وقورنت بالإلهات الكبريات مثل (هيرا ، سيبيل ، ايزيس ، رهيا) .

وهناك صورٌ لهذه الإلهة على نقود هيرابوليس وهي تعتمر تاجاً غني التزيين ، وتحملُ عقداً وتتدلى ضفائرها الطويلة ويرافقها القرص الشمسي والهلال القمري وهي تقدم ثدييها للعالم ، وهناك صورٌ لها وهي ترتدي

ثياباً على الطريقة اليونانية جالسةً على أسد أو على عرشٍ محاط بالأسود .

وقد عبدت الإلهة أترغايتس على نطاق واسع عند الانباط ووجدت لها معابد في خربة براك والبتراء وعبدة ووادي رم (وادي إرم) ، ففي معبد التنور «تظهر في تسعة أدوار فهي ربة الحياة النباتية ، وربة القمح ، وربة الدلافين ، وربة الحظ (تايكي) ، وربة البروج وغير ذلك . وفي تجلياتها المختلفة تعكس معاني ومفهومات دينية مختلفة أيضاً . ففي بعض تماثيلها تبدو الأوراق وهي تغطي كثيراً من أجزاء جسمها : وجهها وعنقها وصدرها ، وأحياناً يظهر التين والرمان مقترنين بها» (عباس ١٩٨٧:٣٢) شكل (٣١) .



شكل (٣١)
الإلهة أترغاتس كإلهة للحبوب والخضار / خربة التنور / الأردن

وهناك نحت بارز لها يعود إلى زمن الانباط يُظهرها كإلهة للدلافين حيث تظهر سمكتان متقابلتان على رأسها المغطى بغطاء رقيق تظهر منه خصل شعرها وضفائرها بوضوح (شكل ٣٢) .



شكل (٣٢)

الإلهة أترغاتس / الأردن

١، ٢ كإلهة للأسماك

٣ كإلهة للحبوب

المراجع

١ . التـــهـــايم ، فـــرانتس : **إله الشمس الحمصي** ، والديانات الشرقية في الامبراطورية الرومانية . ترجمة إيرينا داوود . دار المنارة دمشق . ١٩٩٠

٢ . ادزارد . وآخـــــــرون : **قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين وفي الحضارة السورية** . ترجمة محمد وحيد خيّاطة . مكتبة سومر حلب – السليمانية ١٩٨٧

٣ . بوك ، هـ . ج . جـــوتر : **الأساطير الحيثية** . في كتاب أساطير العالم القديم من تحرير ص . ن . كريمر وترجمة د . أحمد عبد الحميد يوسف . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٧٤

٤ . حـــتي ، فـــيليب : **تاريخ سوريه ولبنان وفلسطين** . ط١ . ترجمة د . جورج حداد وعبد الكريم رافق . دار الثقافة . بيروت . ١٩٥٨

٥ . حـــداد ، د . حـــسني ود . سليم : مجاعص ١٩٩٣ . **بعل هداد** . دراسة في التاريخ الديني السوري دار أمواج ، دمشق .

٦ . خـــان ، عـــبـــد المعـــيـــد : **الأساطير والخرافات عند العرب** . دار الحداثة ط٢ بيروت . ١٩٨١

٧ . الخـــــــوري ، لـطـفـي : **معجم الأساطير** ، دار الشؤون الثقافية بغداد

٨ . دوسّـــــو ، رنيـــــه : **الديانات السورية القديمة** . ترجمة موسى ذيب الخوري سلسلة أبجدية ١٩ . الأبجدية للنشر . دمشق . ١٩٩٦

٩ . السمساطي ، لوقيانوس : **الإلهة السورية** . اعداد باريو مونييه ترجمة موسى ديب الخوري . أبجدية ٧ . الأبجدية للنشر . دمشق .

١٠ . السواح ، فراس **مغامرة العقل الأولى** (دراسة في الاسطورة) . دار الكلمة للنشر . بيروت
ب .ت :

١١ . السواح ، فراس : **لغز عشتار** (الالوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة) ط٥ دار علاء الدين للنشر . دمشق
١٩٩٣

١٢ . السواح ، فراس : **آرام دمشق وإسرائيل** (في التاريخ والتاريخ التوراتي) ط١ دار علاء الدين للنشر . دمشق .
١٩٩٥

١٣ . شيفمان ، إ.ش : **ثقافة أوغاريت** في القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد . ترجمة د . حسّان مخائيل اسحق . الأبجدية للنشر . دمشق .
١٩٨٨

١٤ . فريحة ، أنيس : **ملاحم وأساطير من أوغاريت** (راس الشمرا) . دار النهار للنشر . بيروت .

١٥ . فريزر ، جيمس : **أدونيس وتموز** . ترجمة جبرا ابراهيم جبرا . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت
١٩٧٩

١٦ . القيم ، علي : **إمبراطورية إبلا** . الطبعة الأولى . دار الأبجدية للنشر – دمشق .
١٩٨٩

١٧ . كورتل ، آرثر : **قاموس أساطير العالم** . ترجمة سهى الطريحي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت .
١٩٩٣

١٨ . العـــــهـــــد القـــــديم : **مجموعة من الأسفار .**

١٩ . الماجـــــدي ، خـــــزعل : **مثولوجيا الأردن القديم .** وزارة السياحة والآثار . عمان ١٩٩٧

٢٠ . مـــوسكاتي ، ســـبـــتـــينو **الحضارات السامية القديمة .** ترجمة د . السيد يعقوب بكر . مراجعة د . محمد القصاص . دار الكاتب العربي للطباعة والنشر . القاهرة . ب . ت :

21. Larousse Encyclopedia of mythology , prometheus press . New York 1959.

المحتويات

صدر للمؤلف

في حقل المثولوجيا والأديان القديمة

١ . سفر سومر - دار عشتار . بغداد ١٩٩٠
٢ . حكايات سومريه - وزارة الاعلام . بغداد ١٩٩٥
٣ . مثولوجيا الأردن القديم - وزارة السياحة والآثار . عمّان ١٩٩٧
٤ . أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ - دار الشروق . عمّان ١٩٩٧
٥ . جذور الديانة المندائية - مكتبة المنصور . بغداد ١٩٩٧
٦ . الدين السومري - دار الشروق . عمّان ١٩٩٨
٧ . بخور الآلهة (دراسة في الطب والسحر والاسطورة والدين) عمّان ١٩٩٨ .
٨ . متون سومر .عمّان ١٩٩٨
٩ . إنجيل سومر - الدار الأهلية . عمّان ١٩٩٨
١٠ . إنجيل بابل - الدار الأهلية . عمّان ١٩٩٨

في حقل الشعر

١ . يقظة دلمون/ وزارة الإعلام ، بغداد ١٩٨٠
٢ . أناشيد إسرافيل/ وزارة الأعلام ، بغداد ١٩٨٤
٣ . خزائيل ./ وزارة الاعلام ، بغداد ١٩٨٩
٤ . عكازة رامبو/ دار الأمد ، بغداد ١٩٩٣
٥ . فيزياء مضادة/ مكتبة المنصور ، بغداد ١٩٩٧

في حقل المسرح (المسرحيات المعروضة)

١ . عزلة في الكريستال ١٩٩٠

٢ . حفلة الماس ١٩٩١

٣ .هاملت بلا هاملت ١٩٩٢

٤ . قمر من دم ١٩٩٢

٥ . الغراب ١٩٩٢

٦ . مسرحيات قصيرة جداً ١٩٩٣

٧ . تموز في الأعالي ١٩٩٣

٨ . قيامة شهرزاد ١٩٩٤

٩ . نزول عشتار إلى ملجأ العامرية ١٩٩٤

١٠ . أكيتو (الليالي البابلية) ١٩٩٥

١١ . مفتاح بغداد ١٩٩٦

١٢ . أنيما ١٩٩٧

١٣ . سدرا ١٩٩٨

شجرة أنساب الآلهة الكنعانية

وضع وتصميم : خزعل الماجدي

